المجاري المائية وعلاقتها بالعمران غربي فرع رشيد

في الفترة ما بين٩٣٣:٥٥٠هـ -(1155: 1526م)

دراسة في الجغرافيا التاريخية

د/إبراهيم دسوقي محمود
أستاذ الجغرافيا التاريخية المساعد
كلية الآداب بقنا/ جامعة جنوب الوادي

العدد السابع والثلاثون
يوليو ٢٠١١م

تقديم :

تعد مصادر المياه بمثابة قطب المغناطيس الجاذب للعمران،ففى الماء ذاته تكمن الحياة وعلى مجاريه يزدهر العمران وينمو، وبجريانه يجرى ماء الحياة فى شرايين المدن والقرى،ففي فيضه السر الأكبر لوجودها وفى غيضه نهاية لها،فإن كانت الطرق هي صانعة المدن كما يرى فيدال "دي لابلاش V. La blach" فإن الماء قبلة الحياة ذاتها للعمران كله حضره وريفه،مدنه وقراه،كفوره ونجوعه،فكم من حواضر مزدهرة اندرست وانزوت بانقطاع الماء عنها أو اندراس مجاريها كليةً، وأخرى ربت ونمت وأصبحت قواعد حضرية كبرى لارتباطها بالسر الأعظم واهب الحياة والنماء.

تتناول هذه الدراسةالعلاقة بين المواضع العمرانية والمجاري المائية غربي فرع رشيد مركزةً على مشروعات الريالاصطناعيالتي كانت قائمةً فيما بين القرنين السادس والعاشرالهجري(١٢/١٦م) مثل خليج الإسكندرية وفروعه المتعددة(خليج فرنوى،خليج الحافر،خليج مظلوم...)بالإضافةلخليج الطيرية.....، حيث قدمت هذه الشبكة المائية نمطاً عمرانياً متميزاً انعكس على توسعها وتمددها ومن ثمانتشار التوابع المتعددة،فتعد كثافة المجارى المائية(الطبيعية والصناعية) خلال العصور المختلفة أهم سمات منطقة الدلتا وأكثرها تأثيراً فى شكل العمران ونمط توزيعه.

تحاول هذه الدراسة إلقاء الضوء على جانب مهم من جغرافية مصر التاريخية والحضارية من خلال إعادة بناء جغرافية العمران خلال هذه المرحلة التاريخية المتميزة وعلاقتها بالمجارى المائية التى ارتبطت بها خلال هذه المرحلة.

ويؤكد"محمد عوض محمد" على أن العمران فى الدلتا المصرية ارتبط بشدة منذ القدم بنشأة المجارى المائية وانتشارها خلال مراحلها الحضارية المتعاقبة وطوال تاريخها الممتد والذى يعود لعصور ماقبل التاريخ (نهر النيل ص ١٧٤)،حيثأثرت الطبيعة المائيةالمتميزة لدلتا النيل على شكل العمران ونمط توزيعه، ساعد على هذا التأثير السمات الجغرافية لدلتا النيل ذاتها أو

"ابنة النيل Fille de Nil" كما أطلق عليها"لوزاك"(Lo zach, J . PP. 9 – 10" بطبيعتها المروحية التتأخذ شكلالمثلث منتظم الأضلاع، قاعدته فى الشمال وقمته جنوباً، ويبدوهذا المثلث متساوي الساقين فطول قاعدته الشمالية على البحر المتوسط نحو ٢٢٠كم بينما ارتفاعه من قمته فى شمالى القاهرة يبلغ ١٧٠كم (جوده حسنين جوده ، ص ٥٧) .

ويأتى تميزها كذلك بنصيبها الوافر من المعمور المصرى والذتبلغ نسبته (٦٣%)بمساحةإجمالية ٢٢ ألف كم٢،فى حين لا تتجاوزمساحة الوادى نحو ١٣ ألف كم٢أى نحو ٥٩٪ من مساحة الدلتا نفسها (محمد صفى الدين أبوالعز، ص ٢٢١).

وسوف يتم معالجة هذا البحث عبرثلاثةمحاوررئيسه تسبقها مقدمة يتم فيها تحديدالإطار المكانى والبعد الزمنى للدراسة،واستعراض لأهم مصادر الدراسةوعمدهاوالمتمثلة فى أربعة مصادر أساسية،بالإضافة للعديد من المصادر والمراجع الأخرى والتى سوف تكون عوناً لإتمام الدراسة،وتأتى الخاتمة فى نهاية البحث مكملةً لهذه الدراسة وتتمتها.

أما متن الدراسةفيتمحور فى ثلاثة عناصر أساسيةتتمثل فيمايلى:

أولاً: توزيع شبكة المجارى المائية بغربى الدلتا:ويندرج تحت هذه الشبكة ثلاثةمحاوررئيسة وهى:

١-مجرى خليج الإسكندرية الرئيس.

٢-المجارى الفرعية لخليج الإسكندرية.

٣-مجرى خليج الطيرية.

ثانياً:المجارى المائية وعلاقتها بالعمران الريفى: يتناول هذا العنصرالتوزيع الجغرافى للمحلات العمرانية الريفية وارتباطها بشبكة المجارى المائية،ويتم ذلك عبر نقطتين مهمتينهما:

١- توزيع المحلات الريفية وعلاقتها بالمجارى المائية.

٢-خصائص المحلات الريفية.

ثالثاً:المجارى المائية وعلاقتها بالعمران الحضرى:يعالج هذا الموضوع العمران الحضرى المرتبط بخليج الإسكندرية والمتمثل فى قاعدة العمل ومدينته الأولى"دمنهور" وذلك عبر النقاط التالية:

١-موقع مدينة دمنهور ٢-نشأة المدينة ونموها.
٣-مورفولوجية المدينة
٤-وظائف المدينة ٥-اضمحلال المدينة وتدهورها.

المقدمة:

يمثل غربى مجرى فرع رشيد-مع استبعاد المجرى ذاته من الدراسة- الإطار المكانى للدراسة مع التركيز على المجارى المائية الاصطناعية كمحاور

أساسية للعمران،وانضوى هذا الإطار المكانى تحت إطار "كورتى البحيرة وحوف رمسيس" فى مرحلة الكور الكبرى،وعمل البحيرة خلال مرحلة الأعمال.

-التطور الإداربوالإطار المكانى والزمنى:

شهدت مصر خلال القرن السادس الهجرى(١٢م) تغييراً إدارياً مهماً حيث أُدمجت الكور الثمانون الصغرى والتى كانت تمثل النظام الإداربالسائد خلال المرحلة التاريخية السابقة إلى ثلاث وعشرين كورة كبرى(أربع عشرة منها فى مصر السفلى وتسعبمصرالعليا)،وقد تشكل غربى الدلتا خلال هذه المرحلة من أربع كور كبرى وهى"البحيرة،ورشيد وتوابعها،وفوة والمزاحمتين، وحوف رمسيس".

ويعد الآرمنى(٥٥٠هـ/١١٥٥م) أول من أورد هذا التغيير الإدارى نقلاً عن قائمة محررة تعود لنهاية القرن الخامس الهجرى(١١م) وتسجللهذا التغيير الإدارى الذي شهدته مصر خلال هذه المرحلةباستبدال الكور الصغرى بنظيرتها الكبرى،وسجل الآرمنى أيضاً ما وقع من تغيير للأسماء وما احتوته هذه الكور من وحدات زمامية وخراجية... وغير ذلك (أبو صالح،أخبار مصر، جـ١،ص ص٨-٩)،وقد اتخذت هذه الدراسة بدايتها من هذا التسجيل الذي أورده الآرمني وسجله في كتابه "أخبار مصر"،شكل (١).

شكل(١) التقسيم الإداري لغربي الدلتا في مرحلة الكور الكبرى(ق ٥هـ/١١م)

المصدر: عمر طوسون، أطلس أسفل الأرض.

– مرحلة الأعمال:يمثلهذه المرحلة الروك الناصرى[١](٧١٥هـ/١٣١٥م)حيث قُسمت مصر خلال هذا الروك إلى واحد وعشرين عملاً بديلاً عن الثلاث والعشرين كورة السابقة، فكان الوجه البحرى اثنتا عشر عملاً،وكانت أولى النتائج الإدارية لهذا الروك تغيير مسمى الوحدة الإدارية من "الكورة " إلى "العمل".

شكل(٢) التقسيم الإدارى لغربى الدلتا فى مرحلة الأعمال (٧١٥هـ/١٣١٥م)

المصدر: Tousson, O., La Geographie de L' Egypte …, (1926).

وقد مثّل عمل البحيرة أحدها،وأصبح أكثر توسعاً وتمدداً عن المرحلة السابقة حيث ضُمت إليهكورة"حوف رمسيس والكفور الشاسعة"، واندرج تحت إطاره ٢٢٢ ناحية زمامية "معتبرة"[٢]حسبما أورد ابن الجيعان(التحفة ص١١٦)،شكل (٢).

انتهى العمل بهذا الروك فى القرن العاشر الهجرى، حيث تم مسح الأراضى الزراعية فى مصر بعد ضمها للإمبراطورية العثمانية وعُرف هذا الروك باسم"ترابيع"[٣]سنة ٩٣٣هـ(١٥٢٦م)،وهى السنة التى تنتهى بها

الدراسة،تغطى هذه الدراسة مرحلة تبلغ حوالي ثلاثمائة وثمانون (٣٨٠ عاماً) وهى الفترة مابين: ٥٥٠ : ٩٣٣هـ (١١٥٥: ١٥٢٦م).

-مصادر الدراسة:تعتمد الدراسة بصفة أساسية على أربعة مصادر:

(١)المخزومى[٤]:المنهاج فى علم الخراج، المجموعة الكمالية،مجلد ١،١٩٣٤م.ويعد هذا الكتاب العمود الفقرى للدراسة وتأتى أهميته كونه يعطى صورة تفصيلية وتتبع دقيق لكل المجارى المائية،وقام بعمل حصر لمجمل النواحى العمرانية التى استفادت بهذه المشاريع المائية فى غربى فرع رشيد،وقد نقلت العديد من المصادر اللاحقة مما أورده المخزومى وخاصةً ابن مماتى والمقريزى(عبد العال الشامى،ص٢٨٤).

(٢)ابن مماتى (٦٠٦هـ/١٢٠٩م)[٥]"قوانين الدواوين":يعد من المصادر المهمة التى يُعتمد عليها فى إعادة بناء جغرافية مصر خلال العصر الوسيط،ويصف "كراتشكوفسكى"هذا الكتاب بأنه من المصادر الأساسية التى يجب الرجوع إليها عند الحديث عن الأحوال الإدارية والاقتصادية وكافة المناحى الجغرافية،(تاريخ الأدب الجغرافى...،ج١،ص٣٤٨).

ويحتوى هذا المصدر على كل ما يمكن الرجوع إليه فى موضوع البحث وبصفة خاصةً فيما ورد بالبابين الرابع والخامس،فالفصل الرابع "فى ذكر جملة أعمالها وتفصيل نواحيها وتحقيق أسماء ضياعها وكفورها..."(ص ص٨٤-٢٠٤)،وقد تم الاستفادة من هذا الحصر في بتصنيفها حسب محاور توزيعها لتحديد المرتبط منها بالمجارى المائية غربى فرع رشيد.

أما الباب الخامس من كتاب ابن مماتى والذى اعتمدت عليه الدراسة بعنوان "فى ذكر خلجانها وتراعها(ترعها).....والحديث عن خليج الإسكندرية...."(ص ص٢٠٥-٢٣٢)،وتأتى أهمية هذا الفصل فى كونه يمثل القاعدة الأساسية لمعرفة جغرافية شبكة الرى الاصطناعى غربى مجرى فرع رشيد خلال مرحلة الدراسةمن حيث الشكل والامتداد والأهمية.

(٣) ابن دقماق:"الانتصار لواسطة عقد الأمصار"من السجلات المهمة للروك الناصرى وقد اعتمد ابن دقماق (٨٠٩هـ/١٤٠٦م) فى تأليف كتابهعلى نسخة أصلية للروك الناصرى وردت فى مخطوط "تقويم البلدان المصرية فى

الأعمال السلطانية"(٧٧٧هـ/١٣٧٥م)لمؤلف مجهول،ويقدم ابن دقماق معلومات قيمة عن مدينة دمنهور والنواحى الزمامية المعتبرة فى فك زمام الروك الناصرى(ج٥،ص ص١٠١-١١٣).

(٤) ابن الجيعان:"التحفة السنية بأسماء البلاد المصرية"(ص٤،وص ص ١١٦-١٣٦)وقد كُتب هذا المصدر سنة٨٨٣هـ(١٤٧٨م)،ويعد سجلاً للروك الناصرى وقد استدرك التغيرات التى طرأت على العمران فيما بين سنة٧٧٧هـ(١٣٧٥م) وهى تاريخ النسخ الثانى للروك الناصرى فى عهد الملك الأشرف شعبان بن قلاوون وسنة٨٨٣هـ(١٤٧٨م) وهى السنة التى قام فيها ابن الجيعان بكتابة التحفة السنية(عبد العال الشامى ١٩٩١،ص٨).

وقد مثّل كتابى"الانتصار...لابن دقماقوالتحفة السنية...لابن الجيعان"مصدرين مهمينلاحتوائهما على معلوماتقيمة عنمساحة الحيازة وقيمة العبرة[٦]المقررةعلى النواحى العمرانية والزمامية بعمل البحيرة فى الروك الناصرى.

بالإضافة لهذه المصادر الأربعة هناك العديد من المصادر الأخرى التى ورد ذكرها بقائمة المصادر فى نهاية البحث،وهناك أيضاً المراجع المتعددةوالتى تعد بمثابة التوثيق والمراجعة لتصحيح بعض التداخل وللتحقق من المعلومات الواردة بهذه المصادر، ويأتى على رأسها كتاب عمر طوسون"تاريخ خليج الإسكندرية القديم وترعة المحمودية"،وغيره من المراجع الأخرى.

أولاً:توزيع شبكة المجارى المائية:

أوردت المصادرالعديد من المجارى المائية بعمل البحيرة ذات الأهمية الجغرافية(زراعياً وعمرانياً وملاحياً..) وتنقسم هذه المجارى إلى قسمين،أولهما يمتاز بالطول النسبى واستمرار جريان المياه بها فى ظل الرعاية المستمرة والدائمة، وذلك بتطهيرها والعناية بها ويأتى خليج الإسكندرية وما يتفرع منه من مجارى أخرى (خليج فرنويه، خليج مظلوم، الخليج الناصري، الترعة الأشرفية ...) ثم خليج الطيرية ليمثلوا أهم نماذج القسم الأول والذى كان

جاذباً للعمران وهي ميدان هذه الدراسة،أما القسم الآخر من المجارى المائية بغربى الدلتا فيتمثل فى الترع والقنوات قصيرة الامتداد وفصلية الجريان ومن ثم تعرضها المستمر للاندثار والزوال،ولذلك تقل أهميتها كثيراً مقارنةً بالمجارى الكبرى،وتتكون شبكة المجارى غربى مجرى فرع رشيد من ثلاثة محاور رئيسة،هى:

(١) مجرى خليج الإسكندرية الرئيس:

يعد من أهم المجارى المائية غربى الدلتا واحتل هذا الخليج فى قطاع كبير من مجراه الفرع الدلتاوى القديم (الفرع الكانوبى) والذى كان ينتهى عند بلدة كانوب(أبو قير) ومنها استمد اسمه،وشكل هذا الخليج حجر الزاوية لنظام الرى بغربى مجرى فرع رشيد كونه مصدراً أساسياً لمياه الشرب لمدينة الإسكندرية وطريقاً ملاحياً مهماً،يضاف إلى ذلك أهميته كشريان حيوى وقطب مغناطيس جاذب للعمران بالمناطق التى يمر عبرها.

ويذكر ابن مماتى عن خليج الإسكندرية ".. يشرب منه جميع النواحى الخليجية وعليه عدة ترع .....،وطوله من فم الخليج ثلاثون ألف وستمائة وثلاثون قصبة ...،وأما عرضه مختلف فيه، ومنه ما مقداره قصبتان ونصف ومنه ما مقداره ثلاث قصبات ونصف، ومقام الماء بالنسبة إلى النيل فإن كان مقصراً قصرت مدة إقامته،واستنفاع الناس به،وإن كان عالياً أقام فيه ما يزيد عن شهرين .....،(قوانين الدواوين،ص ٢٢١).

يؤكد ابن مماتى على أهمية الخليج خلال القرن السابع الهجرى(١٣م) فى بداية حديثه عن هذا المجرى المائى المهم، ثم يذكر أبعاده، حيث يبلغ طوله من مبدأه ٦٣٠,٣٠ قصبة(ابن مماتى،ص٢٢١) أي حوالى ١١٨كم،أما عرضه فيتراوح ما بين٥,٢و٥,٣ قصبة أي حوالى١٣,٩:٥,٥متراً(عبد العال الشامى١٩٩١،ص ٣٥٣)، شكل(٣).

ويبدى عمر طوسون ملاحظة مهمة عندما يشير إلى إطلاق المصادر خلال المراحل التاريخية المختلفة على هذا المجرى المائى اسم"خليج الإسكندرية" بالرغم من أن هذا المجرى تنقلت فوهاته الآخذه من فرع رشيدحوالى خمس

مرات فى فترات متباينة واعتقد الكثيرون أنه هو منذ نشأته الأولى(خليج الإسكندرية القديم،ص ٤).

شكل (٣) خليج الإسكندرية وفروعه عند عمر طوسون

المصدر: عمر طوسون، تاريخ خليج الإسكندرية (١٩٤٢).

ارتبط بقاء الماء فى الخليج بحالة الفيضان فإن حدث قصور فى الفيضان قصرت مدة إقامة الماء به ومن ثم يقل الانتفاع بماء الفيضان فى رى الأراضى،وأما إذ كان الفيضان عالياً فإن الماء يبقى فى الخليج فترة تزيد على

شـهرين،ومعنى ذلـك أن المـاء لا يجـرى إلا فـى زمـن الفيضـانات العاليـة، وبالتالى عدم الاستفادة بالخليج كمجرى ملاحى وكمصدر لمياه الشرب ومورد لرى الأراضى الزراعية، مما يقلل من أهمية هذا الخليج،شكل(٤).

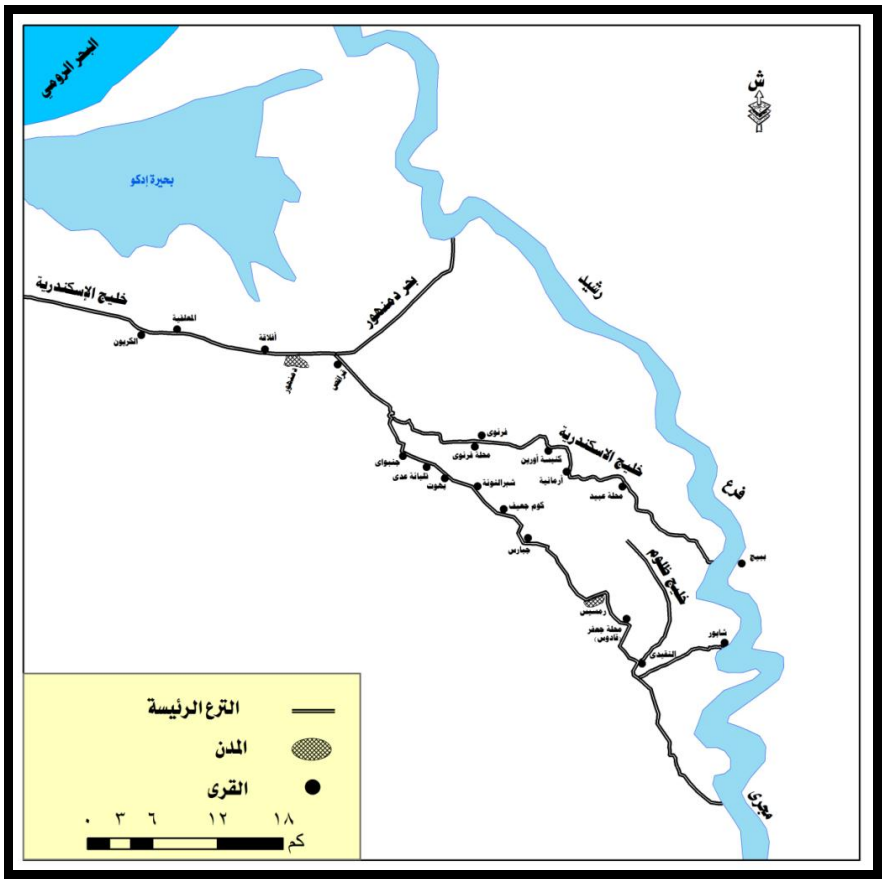

شكل (٤) خليج الإسكندرية كما ورد فى كتاب المنهاج... للمخزومى(ق٨٦هـ/١٢م)

المصدر: عبد العال الشامى،نظام الرى والزراعة....ص٣٩٦.

وفى ظل فصلية جريان الماء بالخليج ونتائجه السلبية على الأنشطة المعتمدة عليه جاءت العناية والاهتمام بتطهير مآخذه من فرع رشيد، وكذلك مجرى الخليج ذاته،لتعظيم الاستفادة من هذا المجرى المائى،وتأتى أهمية تعدد الفوهات التى كانت تغذى الخليج خلال المراحل المختلفة فى أنه خلال عمليات الانتقال من مرحلة لأخرى لاتتوارى (تندرس)النقطة المنقول منها بل

تظل هذه الترع باقية تؤدى دورها بلا انقطاع، بل يبطل استغلالها كطريق نهرى أو مجرى مياه موصل لمدينة الإسكندرية،ويقصر استغلالها فى القيام بحاجات النواحى التى تمر بها هذه المجارى المائية،(عمر طوسون،ص ص٣١-٣٢).

وقد قام عمر طوسون فى دراسته لخليج الإسكندرية القديم(١٩٤٢م)بتقسيم مجرى الخليج إلى ثلاثة أقسام:

الأول: من النيل إلى كفر الحمايدة.

الثانى: من كفر الحمايدة إلى الكريون.

الثالث: من الكريون إلى الإسكندرية.

يعد القسم الأول من أكثر الأقسام تغييراً وتبديلاً وبصفة خاصة نقطة المصدر الآخذة من فرع رشيد فقد شهدت تغييرات متعددة ومن هنا تأتى صعوبة تحديد موضع ثابت لبداية الخليج،أما القسمان الآخران لم يتبدل موضعهما وإن اختلف مصدرهما المائى فالأول كان تابعاً للفرع الكانوبى والثانى لخليج الإسكندرية(عمر طوسون،ص١٧).

وقد شهد هذا القسم (الأول) عدة تغييرات قدرتها المصادر بحوالى خمس مرات من القرن الأول حتى القرن التاسع الهجرى(٧/١٤م)، وانعكس تأثير هذه التغييرات على تعدد المجارى المائية بغربى فرع رشيد، وينضوى ثلاثة من هذه التغييرات تحت إطار مرحلة الدراسة، أما المرحلتين السابقين فكانت الأولى: نقطة البداية من قرية الرافقة (زاوية البحر) حتى كفر الحمايدة ثم من النقيدي حتى دمنهور، تمت خلال القرن الأول(٢٠هـ/٦٤١م) واستمرت حتى الرابع الهجرى(٣٣٠هـ/٩٤٢م).

أما المرحلة الثانية: فكانت نقطة بداية الخليج من قرية شابور إلى كفر الحمايدة ثم دمنهور،وكانت فيما بين القرنين الرابع(٣٣٠هـ/٩٤٢م) والخامس الهجرى(٤٠٤هـ/١٠١٣م)،(عمر طوسون،ص١٩)،وقد أشار إليهاابن حوقل(٣٥٠هـ/٩٦١م)،واستغرقت مرحلة قصيرة نسبياً(٧١سنة فقط)،(عمر طوسون،ص٢٠،ص٢٢).

تأتى المراحل الثلاث الأخرى(من الثالثة إلى الخامسة) والتى تمت فيما بين القرنين الخامس إلى التاسع الهجرى(١١/١٥م)،فكان التغيير الثالث: والذي تحول فيه مأخذ الخليج من ناحية ببيج (الضاهرية) إلى أبو منجوج حتى دمنهور،وقد ذكر الأدريسى(٥٤٨هـ/١١٥٣م) أن هذا التغيير تم فى عصر الخليفة الفاطمى الحاكم بأمر الله(٤٠٤هـ/١٠١٣م) وقد أورد المخزومى "..أما خليج الإسكندرية فإنه من فوهة الخليج إلى ترعة بودرة(أبو درة) ليس على شيء منها سدبومنجوج،محلة بتوك....."(المنهاج...،ص٨٩٥)،شكل(٥).

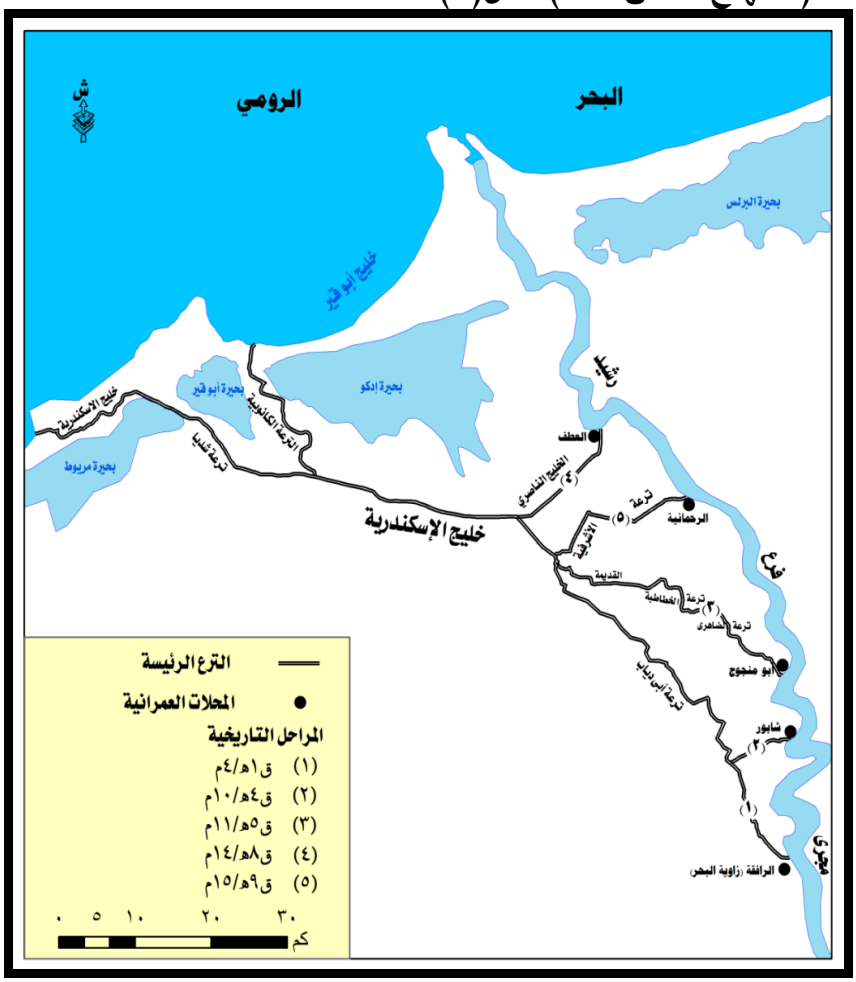

شكل(٥) مراحل تغيير فوهات خليج الإسكندرية المتتالية من مجرى فرع رشيد في العصر الوسيط

المصدر:عمر طوسون، تاريخ خليج الإسكندرية (١٩٤٢)خريطة رقم(٤)

تمت المرحلة الرابعة من التغييرات التى أصابت نقطة المصدر بخليج الإسكندرية خلال القرن الثامن الهجرى فى سنة٧١٠هـ(١٣١٠م) واستمرت لمرحلة تزيد على قرن من الزمان (١١٢سنة) حتى سنة ٨٢٦هـ(١٤٢٢م) وكانت بدايتها من العطف حتى كفر الحمايدة،وذكر عنها القلقشندى"...مدخل الترعة فى زمنه{يقصد الملك الناصر}كان فى العطف قبال فوة..." وبعد انتهاء الأعمال فى خليج الإسكندرية خلال هذه المرحلة أُطلق عليه الخليج الناصرى منسوباً للسلطان الناصر محمد بن قلاوون التى تم حفره فى عهده،(عمر طوسون،ص٢٧).

ويكتب المقريزى عن هذه المرحلة فى تاريخ الخليج الناصرى"...عمارة ما على حافتى الخليج من الأراضى بإنشاء الضياع والسواقى فينمو الخراج....،وعمرت منه عدة بلاد كثيرة وتحول عالم عظيم إلى سكنى ما استجد...."(الخطط،ج١،ص ص٢٧٦-٢٧٧)، ويبدو من وصف المقريزى مدى ما أسهم به الخليج الناصرى من ازدهار طال العديد من شتى مناحى الحياة.

تأتى المرحلة الخامسة والأخيرة من مراحل التغيير وكانت البداية من الرحمانية حتى كفر الحمايدة وتمت سنة ٨٢٦هـ (١٤٢٢م)،ويتميز هذا التعديل على سابقيه فى أنها المرحلة الوحيدة التى تقهقرت خلاله نقطة المصدر من الشمال (العطف) إلى الجنوب(الرحمانية).

- القسم الثانى: من كفر الحمايدة إلى الكريون:

لميُنقل هذا القسم مطلقاً من موضعه منذ أقدم العصور حيث وجد الفرع الكانوبى وهو من الأفرع القديمة والمهمة غربى الدلتا وتشكل ترعة المحمودية جزءاً منه، وينطبق ذات الحديث على القسم الثالث من الخليج: من الكريون حتى مدينة الإسكندرية والذى يشغل موضع ترعة شديا(النشو

البحرى/كفر الدوار) والتى استبدلت بترعة المحمودية،(عمر طوسون،ص ص٣٢-٣٣)،

تخطى الأمر عمليةتجديد فوهات مآخذخليج الإسكندرية من مجرى فرع رشيد وتعددها، إلى الاهتمام بتطهير المجرى من كل المعوقات التى كانت تعترض جريان مياهه للاستفادة منها،ويأتى تجديد حفر الخليج مرتين خلال القرن الثامن الهجرى(١٤م) وذلك إبان السلطان الناصر محمد بن قلاوون نموذجاً للاهتمام الذى أولاه الحكام والسلاطين لهذا المجرى المهم(المقريزى،السلوك..،ج١،ص ص٥٤٣-٥٤٤).

(٢) مجاري خليج الإسكندريةالفرعية:

بالإضافة إلى المجرى الرئيس لخليج الإسكندرية هناك العديد من المجارى المائية الأخرى المرتبطة به وكان لها دوراً مهماً فى مناحى الحياةكافةً بغربى فرع رشيد،ومن أهم هذه المجارى:

(أ)خليج فرنوى:

انفرد ابن حوقل(٣٦٧هـ/٩٧٧م) بذكر المجرى المائى، وذلك فى خريطتهلأسفل الأرض معتبراً إياه من الخلجان الآخذة من مجرى فرع رشيد عند بلدة ببيج(صورة الأرض،ص ص١٣٤-١٤٠) ومنها إلى فرنوى ثم يواصل سيره حيث يصب فى فرع رشيد مرة ثانية عند بلدة بلهيب ويؤكد ياقوت الحموي(٦٢٦هـ/١٢٢٥م) على موقع هذا الخليج وعلاقته بفرع رشيد "..حيث يخرج من فرع رشيد ويعود إليه..."(عبد العال الشامي، ١٩٩١،ص٣٤٦و١٩٨١،ص٢٦).

أصبح هذا الخليج بعد ذلك جزءاً من خليج الإسكندرية ويمثل المجرى الأعلى منه،أي تم الاستفادة منه كمأخذ جديد للخليج وذلك لضمان استمرار جريان مياه فرع رشيد له،لذا شكلت معظم أجزاء هذا الخليج المجرى الأعلى لخليج الإسكندرية،ومن الصعوبة الاستدلال على هذا الجزء الذى أصبح أثراً بعد عين،أما المجرى المائى الحالى والمتبقى من هذا الخليج فيمثله ترعة الظاهرى(عمر طوسون،١٩٤٢،ص٢٢).

(ب) خليج الحافر(ترعة فزارة):

كتب الإدريسى(٥٦٤هـ/١١٦٨م) عن هذا الخليج "..ويخرج من معظم هذا القسم المتصل برشيد-الفرع- أسفل سنديون وسمونس أسفل فوة وفوق رشيد ذراع من النيل فيمر على مستقر بحيرة(إدكو) تتصل بقرب الساحل ثم تمر ممتدة مع الغرب إلى أن يكون بينها وبين الإسكندرية نحو ستة أميال ..." (نزهة المشتاق،ص١٥٢،ص١٦١).

يخرج هذا الخليج من فرع رشيد جنوبى قرية سنديون(فوة) ويسير باتجاه شمالى غربى حتى يصب عند الأطراف الشرقية لبحيرة إدكو،ولم يكن هذا الخليج يمتد لمسافة طويلة،وقد استمر هذا المجرى نظراً لأهميته فى الملاحة النهرية وكانت له الأفضلية عن غيره درءاً للأخطار عند مخرج مجرى فرع رشيد ودوره الحيوى فى هذا الإطار، حيث كان يستخدم كطريق نهرى من فرع رشيد حتى بحيرة إدكو ومنها للإسكندرية وبالعكس تكون العودة من مدينة الإسكندرية إلى فرع رشيد والصعود فى الدلتا حتى القاهرة، (عبد العال الشامى،١٩٩١،ص٣٤٧).

(ج) خليج ابن زلوم(ابن مظلوم):

قدم المخزومى وصفاً لخليج ابن زلوم(مظلوم) يتضح منه تفرع هذا الخليج من خليج الإسكندرية عند بليدة النقيدى ومن ثم يسير فيما بين الخليج المسمى حينذاك (بحر رمسيس) وبين مجرى فرع رشيد،وقد ارتبطت به العديد من المحلات العمرانية التى ذكرها المخزومى(المنهاج.،ص ٨٩٥).

(٣) خليج الطيرية:

يعد خليج الطيرية من أكثر خلجان غرب الدلتا هامشيةً بموقعه المتاخم للحافة الغربية حيث يقع فى نهاية الدلتا وزادت الحاجة إليه لبعد المسافة بين خليج الإسكندرية وبين الأراضى الهامشية فى أقصى الغرب فكان وجود هذا الخليج ضرورة ملحة، وقد ساعد على حفره قلة سمك الرواسب الفيضية مما أمكن من حفر هذا المجرى المائى وكان لموقعه هذا أثره السلبى على تأثره بسفى المال خاصةً مع ازدياد نشاط الرياح الشمالية الغربية(عبد العال الشامى،١٩٩١،ص ٣٥٦).

وقد أسهب المخزومى –وعنه نقل ابن مماتى– تفاصيل كثيرة عن خليج الطيرية وأكدا على أهميته فى رى النواحى التى يمر بها وذكرا أن الماء يجرى فى هذا الخليج من أول النيل إلى أن يضرب جسر شبرا وسيم (كوم حمادة)،وقد فصل المخزومى وعدد جملة النواحى المستفيدة من خليج الطيرية (المنهاج..،ص٨٩٥)،شكل (٦).

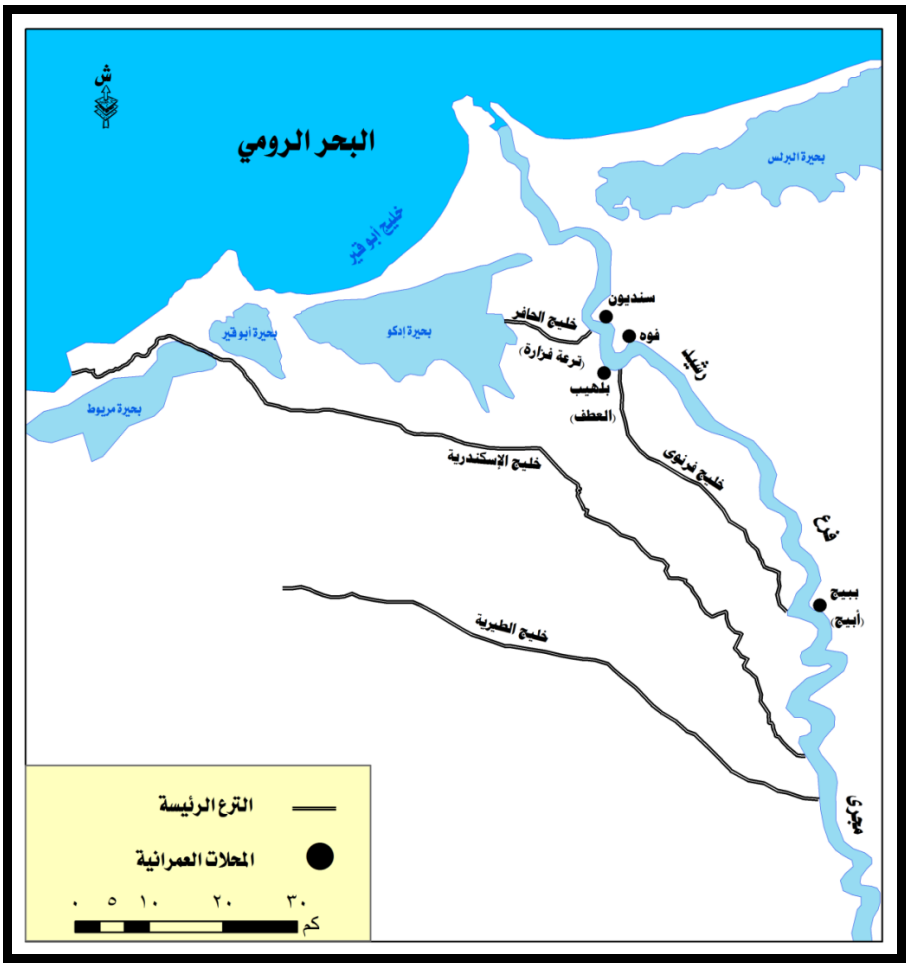

شكل(٦) المجارى المائية غربي فرع رشيد خلال العصر الوسيط

(المجرى الرئيس لخليج الإسكندرية وفروعه وخليج الطيرية)

المصدر: عبد العال الشامي، نظام الري والزراعة (١٩٩١) ص ٣٩٦.

وفى خلال القرن السابع الهجرى كتب النابلسى(٦٤٣هـ/١٢٤٥م) عن الإهمال الذى أصاب هذا الخليج وتمنى أن"...ولو شمل هذه الناحية نظر جميل حتى يهتم بترعها وهى.....وخور رمسيس والطيريه.....حتى يروى شراقيه لكان إقليماً بحبس كبير ينفع بيت مال المسلمين وجيوشه...."(لمع القوانين..،ص٥٨)،وحدث هذا الاهتمام فى نهاية القرن الثامن الهجرى(١٣م) فى عهد السلطان سيف بن قلاوون والذى أعاد حفر خليج الطيرية،فنتج عن ذلك نفع كبير روى ما لم يكن يُروى من الأرض قبل ذلك(ابن حبيب،ج١،ص٨٠).

ثانياً: المجاري المائية وعلاقتهابالعمران الريفى(٧):

تمثل قوائم:قوانين الدواوين.. لابن مماتوالانتصار.. لابن دقماق،والتحفة.. لابن الجيعان، المصادر الأساسية لحصر المحلات الريفية المرتبطة بالمجارى المائية غربى فرع رشيد، وتعد المحلات الريفية الواردة بقوائم فك الزمام بهذه المصادر ما هى إلا وحدات مالية أو زمامية "معتبرة"أي أنها وحدات خراجية، ولا يذكر معها توابعها الصغرى سواء كانت كفور ونزلات وعزب ونجوع... (محمد رمزى، ق١،ص٧)وتبدو هنا مشكلة بحثية تواجه معالجة موضوع العمران خلال هذهالمرحلة من حيثالتوزيع والشكلوالحجم .. وغير ذلك من عناصر دراسة العمران الريفى.

(١) توزيع المحلات الريفية:

ارتبطت العديد من المحلات العمرانية خلال مرحلة الدراسة بالمجارى المائية السابق الإشارة إليها والتصقت بها مكانياً وصاحبتها زمنياً ومن خلال عمليات الحصر التى تمت لهذه المحلات يتضح مدى دور شبكةالمجارى المائية هذه فى نشأةونمو هذه المحلات وتطورها، ويأتى توزيع المحلات العمرانية المرتبطة بهذه المجارى على النحو التالى:

(أ) النواحى العمرانية المرتبطة بالمجرى الرئيس لخليج الإسكندرية:

ترتبطهذه القرى بالمجرى الرئيس لخليج الإسكندرية موزعةً من الجنوب حيثبدايته الأولى من مجرى فرع رشيد حتى المجرى الأدنى لهإلى ترعة الكانوبية شمالاً:

– زاوية البحر (الرافقة):تعد هذه المحلة النقطة الأولى التى بدأ منها خليج الإسكندرية رحلته الأولى زماناً ومكاناً ويعكس اسمها مدلولاً على موضعها الذى يأخذ شكل الزاوية التى شكلها الخليج مع فرع رشيد،وإحدى توابع محلة بنى واقد مساحة زمامها ٢٧٠٧فدان وجملة عبرتها٥٤٠٠ دينار وتم فصلها عن بنى واقد فى ترابيع ٩٣٣هـ.

– منية أسامى (كوم حمادة): عُرف هذا الموضع العمرانى باسم "منية أسامى" وكانت تابعة لناحية النقيدى المقابلة لها وقد ذكرها المقريزى مرتبطةً بموضعهاعلى الجانب الأيسر لخليج الإسكندرية (الخطط..،ج١،ص١٧٠) ولايزال يوجد حوض زراعى يحمل هذا الاسم "حوض السامى"،ثم تغير اسمها إلى كوم حمادة(محمد رمزى،ج٢،ص٣٣٩).

– نقيدى بن فلس(النقيدى): تقع هذه المحلة العمرانية فى نقطة تلاقى الخليج بمأخذ فوهته الثانية من فرع رشيد(شابور) وتبلغ حيازتها٧٧٦ فدان،وخراج قيمته ١٨٠٠دينار،وردت أيضاً باسم "محلة نقيدة" وهى "..ضيعة كبيرة عامرة ..ويتبعها ضياع جليلة ..."بتعبير المقريزى والذى حدد موضعها على الجانب الأيمن لخليج الإسكندرية،وكانت "شابور" وهى المحلة العمرانية التى ارتبط باسمها خليج الإسكندرية(نهر شابور) إحدى ضياع وتوابع النقيدى (عبد العال الشامى،١٩٩١م،ص٣٤٧)،وتغير الاسم من نقيدى بن فلس إلى النقيدى خلال الترابيع العثمانية.

– محلة جعفر: تقع جنوبي معنيا وشكلت إحدى توابعها وإن كانت ذات زمام منفصل مساحته ٣٤٨ فدان،وعبرة مقدارها ١٥٠٠ دينار،وقد وردت هذه الناحية فى ترابيع ٩٣٣هـ باسم "قادوس" وهى ذات المحلة التى وردت عند ابن مماتى وابن الجيعان باسم "محلة جعفر" ولايزال حوض محلة جعفر قائماً فى هذه الناحية وتأكيداً لمسماها الذى ورد فى الروك الناصرى(محمد رمزى،ج٢،ص٢٥١).

– معنيا(معنيه):ذات زمام متسع يبلغ١٩٨٩فدان وعبرة مرتفعة ٤٢٠٠ دينار،ووردت هذه المحلة باسم "محلة معن" وحدد كل من ابن مماتى والمقريزى موضعها على خليج الإسكندرية وعلى الجانب الأيمن للخليج وارتبطت بالمجرى الذى أُطلق عليه ترعة أبو دياب (الخطط..،ج١، ص١٧٠)،وعُرفت باسم معنيا فى تاريع ١٢٢٨هـ/١٨١٣م(محمد رمزى،ج٢،ص٢٥٢).

– رمسيس: إحدى المحلات العمرانية القديمة التى أوردتها المصادر باسم "هات رمسيس"Hat nt Ramesses والذى تحرف فى القبطية إلى رمسيس Ramsesوقد اكتسبت مسماها من بحر رمسيس وهو المسمى المحلى لخليج الإسكندرية فى هذا القطاع، واحتلت موضعها على الجانب الأيسر منه وكانت هذه المحلة ذات امتداد شاسع ويبدو ذلك من مساحة حيازتها التي تجاوزت ٧٧٧٠فدان وبالتالى تعددت توابعها (محمد رمزى،ج٢،ص٢٤٩).

– جبارس:تبلغ مساحة حيازة هذه الناحية التى ارتبطت بخليج الإسكندرية ١٥٤٥ فدان وضريبة تبلغ ١٦٠٠دينار،ويشير محمد رمزى بأن جبارس هذه انقسمت سنة ١٩٢٦م إلى ناحيتين هما جبارس القبلية وهى الناحية الأصلية والأخرى "البحرية" وهى المستجدة(القاموس ....،ج٢،ص٢٤٨).

– كوم جعيف:عُرفت فى المصادر باسم "كيمان شراس وحوض فارس"، بزمام ٤٣٣فدان وخراج ١٠٠٠دينار وأطلق عليها اسم "كوم جعيف" فى ترابيع ٩٣٣هـ واقتصر على جعيف سنة ١٢٢٨هـ/١٨١٣م،وهذه المحلة العمرانية أُنشئت على أطلال مدينة نقراطيس القديمة (محمد رمزى،ج٢،ص٢٤٨)،ولازالت أطلال نقراطيس ماثلة وتدلل على توارث المواضع العمرانية.

– النبيرة: من المحلات العمرانية المهمة على خليج الإسكندرية بموقعها على الجانب الأيمن منه بزمام مساحته١٤٦١فدان،٤٠٠٠ دينار وهى من النواحى ذات التوابع المتعددة ويعكس ذلك حجم الضريبة المربوطة على حيازة هذه الناحية(٤٠٠٠دينار) وقد أكد المقريزى على أهمية موضعها على خليج الإسكندرية ونواحيها المتعددة(الخطط..،ج١،ص١٦٩).

– شبرى النونة:من القرى القديمة أوردها " اميلينيو" (تشفرونة)Tidjphroneوهى ذات القرية التى وردت فى الروك الناصرى باسم شبرى النونة بحيازة حجمها ١٠٧٢ فدان وضريبة ١٧٠٠ دينار وعُرفت باسم شبرا النونة فى تاريع ١٢٢٨هـ/١٨١٣م (محمد رمزى،ج٢،ص٢٤٩)،شكل(٧).

– البهى: تقع شمالى النبيرة وإحدى توابعها على الجانب الأيسر من الخليج وقد حدد موضعها المقريزى على خليج الإسكندرية وإن كان اسمها ورد محرفاً فى الخطط(ج١،ص١٦٨) حيث ذُكرت باسم"الهبوط" وصحح اسمها وتحقق من موضعها محمد رمزى وهى البهى(ج٢،ص٢٤٦) التى كانت حيازتها فى الروك الناصرى ١٠١٦فدان و١٦٠٠دينار كخراج.

– تلبانة عدى: وردت فى قائمة الروك الناصرى بذات الاسم وبلغ مساحة زمامها ١٤٢٩فدان وخراج ١٤٠٠دينار،وذكرها المقريزى باسم "تلبانة

البحرية"وحدد موضعها على خليج الإسكندرية شمالى ناحية البهى، وقرنها بالبحرية تمييزاً لها عن محلة أخرى عُرفت باسم "تلبانة الأبراج" جنوبى عمل البحيرة،وأخذت اسمها الحالى "تلبانة" فى تاريخ ١٢٢٨هـ/١٨١٣م (محمد رمزى،ج٢،ص ص٢٤٧-٢٤٨).

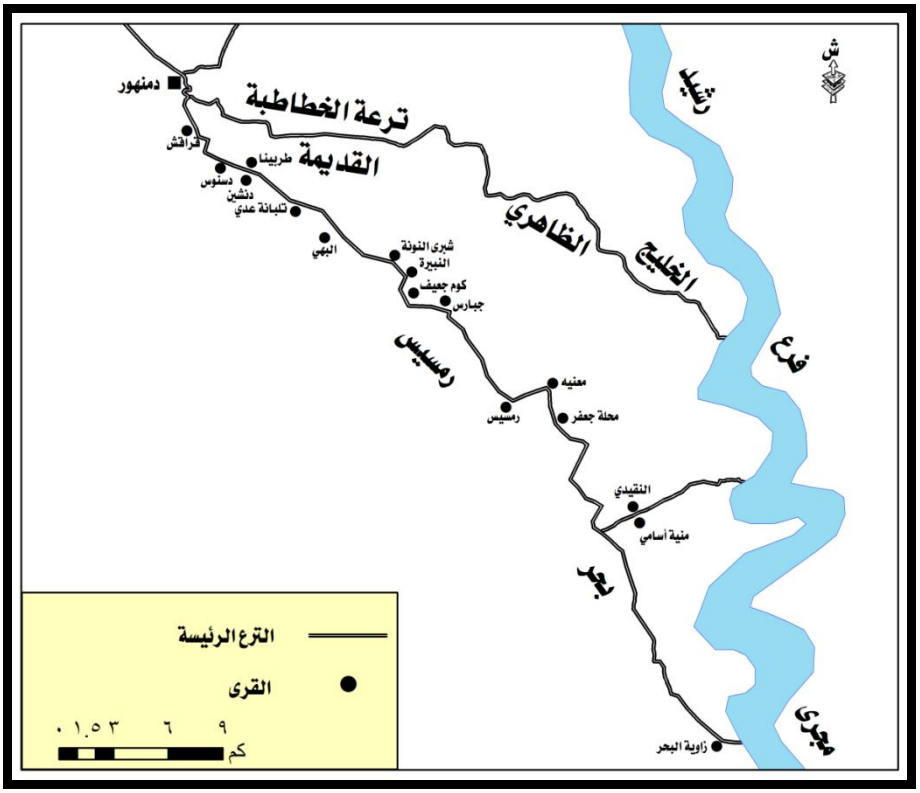

شكل(٧) المحلات العمرانية المرتبطة بالمجرى الأعلى والأوسط لخليج الإسكندرية(ق٩هـ/١٥م)

المصدر: عمر طوسون، تاريخ خليج الإسكندرية (١٩٤٢)، خريطة رقم٤.

- دنشين(دنشال) والعوجة: ناحيتان مرتبطتان ببعضهما البعض من حيث الزمام الزراعى المشترك ومندمجتان عمرانياً وكانتا ذات حيازة تتصف

بالاتساع حيث تبلغ ١٢٥٤فدان،وعبرة ١٥٧٥دينار وكانت دنشال تمثل الناحية الأم وتعد العوجا أحد توابعها والتى انفصلت عنها فى دليل ١٢٢٤هـ/١٨٠٩م(محمد رمزى،ج٢،ص٢٩٢).

- طبرينة (طرابينا): وردت فى الروك الناصرى باسم طبرينه ذات زمام متسع يبلغ ٢٦٠٧ فدان وخراج لايعبر عن هذه المساحة الشاسعة التى تتبعها ٧٥٠دينار فقط،وكان موضعها على الجانب الأيمن للخليج شمالى دنشال مباشرة، وعرفت بعد ذلك باسم طرابينا(محمد رمزى،ج٢،ص٢٨٩).

- دسنوس أم دينار:إحدى النواحى التابعة لدمنهور وتقع إلى الجنوب منها مباشرة وعلى الجانب الأيمن للخليج ذات زمام مساحته ١٧٣٨ فدان وضريبة ٢٠٠٠دينار،وكان ارتباطها بأم دينار تمييزاً لها عن سميتها الأخرى دسنوس الحلفاوية التى كانت تتبع ناحية أبوحمص(محمد رمزى،ج٢،ص٢٨٤).

- قراقش(قراقص):محلة عمرانية قديمة سابقة للمرحلة العربية ذكرها إميلينو باسم"قراقس" وكانت هذه الناحية ذات زمام متسع تخطى الثلاثة(٣٠٣٢) آلاف فدان وضريبة قيمتها ٢٣٠٠ دينار،واحتل موضعها نقطة التقاء ترعة الخطاطبة القديمة(إحدى مجارى الخليج)مع المجرى الرئيس لخليج الإسكندرية (محمد رمزى،ج٢،ص ص٢٨٩-٢٩٠).

-إفلاقة وكفر الحمايدة: تمثل إفلاقة إحدى النواحى العمرانية ذات التوابع المتعددة مثل بسطرا (١٨٣٨فدان، العبرة؟) وكفر الحمايدة وغيرهما وبلغ مساحة حيازة هذه الناحية فى الروك الناصرى ٢٦٤٠ فدان و٣٠٠٠ دينار كضريبة وهو رقم مرتفع يدلل على أهمية هذه الناحية اقتصادياً وعمرانياً،وقد أضفى موضع هذه المحلة عليها هذه الأهمية حيث كانت تقع على نقطة التقاء خليجى الناصرى والإسكندرية

– دمشوية (زاوية غزال):إحدى النواحى الصغرى المرتبطة بخليج الإسكندرية وكانت تشكل التوأم المناظر لناحية كفر الحمايدة على الجانب الآخر للخليج الناصرى عند التقاءه مع خليج الإسكندرية وكان حجم زمامها يبلغ ٥٤٥ فدان و٤٠٠ دينار كخراج،وقد تغير مسمى دمشوية إلى زاوية غزال فى دليل ١٢٢٤هـ/١٨٠٩م(محمد رمزى،ج٢،ص٢٨٦).

– قبيل(قابيل):وردت هذه الناحية محرفةً عند المخزومى باسم"قبيل" وذكرت بذات الاسم فى الروك الناصرى بحجم حيازة ١٦١٨ فدان وعبرة ٢٠٠٠ دينار، واحتلت موضعاً على الجانب الأيسر لخليج الإسكندرية ووردت باسم قابيل فى تاريع ١٢٢٨هـ/١٨١٣م.

– شبرى بار(أبوحمص):وردت هذه الناحية العمرانية القديمة بهذا الاسم فى الروك الناصرى بحيازة زراعية متسعة بلغت ٢٦١٦ فدان وعبرة كبيرة ٣٠٠٠دينار،وهذه المحلة ذكرها استرابون باسم "شبرا ياس"،ثم تحول الاسم إلى "شبرى بار" ووردت هذه الناحية أحياناً محرفةً باسم "شنبار" وحدد موضعها المقريزى على مفترق ثلاث ترع تخرج من خليج الإسكندرية وهى ترع شبرا بار(القناوية)وترعة محلة الكروم(القروى) وترعة قافلة(الخطط،ج١،ص١٧١)،واختفى اسم شبرا بار فى تاريع ١٢٢٨هـ/١٨١٣م وحل مكانه اسم أبوحمص وهى ناحية كانت تابعة لشبرا بارالتى تعرضت للاندثار (محمد رمزى،ج٢،ص٢٣٧)،شكل (٨).

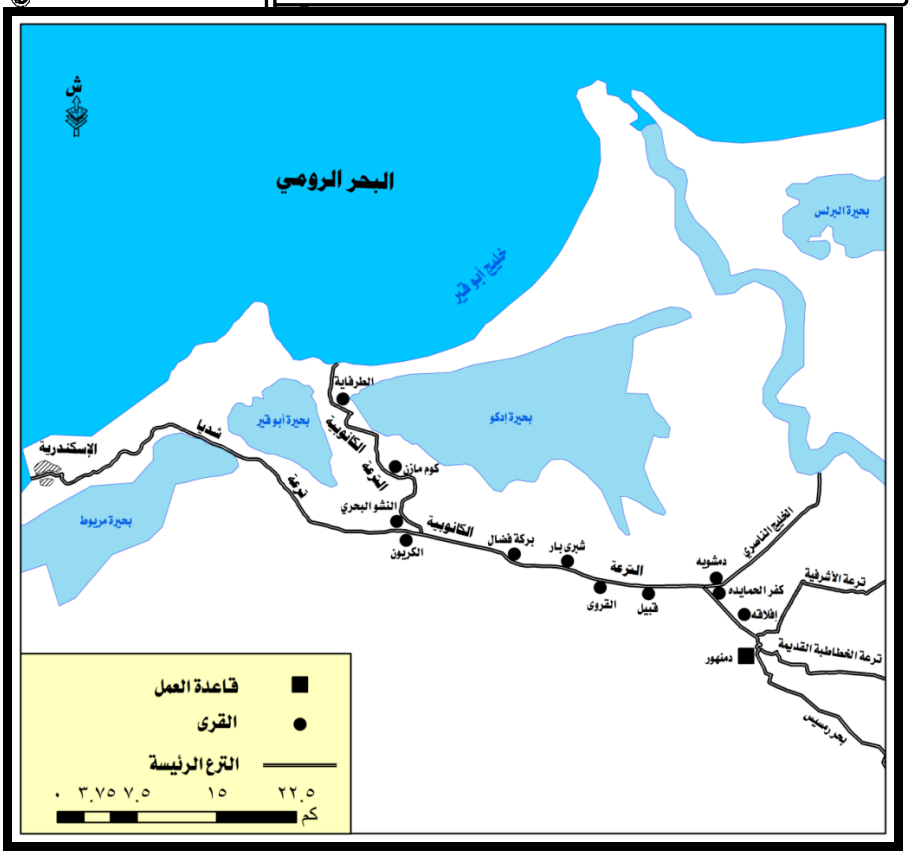

شكل (٨) المحلات العمرانية المرتبطة بالمجرى الأدنى لخليج الإسكندرية (ق٩هـ/١٥م)

المصدر: عمر طوسون، تاريخ خليج الإسكندرية (١٩٤٢)، خريطة رقم٣.

- بركة فضال(بركة غطاس):ذكرها ابن دقماق باسم بركة فضال وهى إحدى التوابع الكبرى لشبرا بار وكانت تقع على الجانب الأيمن للخليج إلى الجنوب من ناحية الكريون (محمد رمزى،ج٢،ص٢٣٩).

- الكريون:محلة عمرانية قديمة ارتبطت بالمجرى الأدنى لخليج الإسكندرية والذى أُطلق عليه ترعة شيديا، ووردت بالاسم اليونانى "كريو" وحُرف فى القبطية إلى "أوكريون" ومنه الكريون، وتتسم بتعدد توابعها الكبرى كالنشو والطرفاية وغيرهما وما يدلل على تمددها العمرانى مساحة حيازتها الكبير التي وردت بالتحفة السنية٣١٦٠ فدان وخراجها الذى يبلغ ٣٠٠٠ دينار.

-النشو البحرى:إحدى التوابع الكبرى لناحية الكريون وأُقيمت على أطلال محلة قديمة تُعرف باسم "شيديا" على الجانب الأيمن من ترعة شيديا وذكرها استرابون محدداً موضعها على الفرع الكانوبى(ترعة شيديا) وكانت من المحلات المزدهرة تجارياً وزراعياً وقد استقلت عن الكريون فى تاريع ١٢٢٨هـ/١٨١٣م(محمد رمزى، ج٢، ص٣١٩).

_ الطرفاية(كوم الطرفاية):تقع على الطرف الشمالى الشرقى لخليج الإسكندرية بين بحيرة إدكو والترعة الكانوبية كانت إحدى توابع النشو البحرى باسم "الطرفاية"،ثم أصبحت كوم الطرفاية واستقلت عن النشو والكريون(محمد رمزى،ج٢،ص٣٢٨).

(ب)المحلات العمرانية المرتبطة بالمجارى الفرعية لخليج الإسكندرية:

بالإضافة إلى المحلات العمرانية السابق ذكرها والمرتبطة بالمجرى الرئيس لخليج الإسكندرية من نقطة تفرعه الأولى بزاوية البحر(الرافقة) جنوباً إلى الطرفاية على الترعة الكانوبية فى أقصى الشمال،هناك العديد من النواحى التى ارتبطت بالمجارى المائية التى كانت تمد الخليج بالمياه من فوهات متعددة ومتغيرة بلغت خمس فوهات سبق الإشارة إليها، وأهم هذه المحاور والتى كانت تأخذصفة التعامد على المجرى الرئيس للخليج.

- شابور←النقيدى:

أطلق المخزومى على هذا الجزء من خليج الإسكندرية مسمىً محلياً "بحر رمسيس" منسوباً لناحية رمسيس قاعدة كورة حوف رمسيس والكفور الشاسعة وكانت تتاخم كورة البحيرة من الجنوب،وبحر رمسيس هذا ما هو إلا المجرى القديم لخليج الإسكندرية والذى يخرج من عندقرية شابور لذلك ورد اسم "بحر شابور" كمرادف لخليج الإسكندرية لارتباطه بنقطة تفرعه من فرع رشيد،وارتبطت العديد من النواحى العمرانية بهذا الجزء من الخليج،من أهمها:

- شابور:ارتبط خليج الإسكندرية تاريخياً باسم بحر شابور وهى القرية التى كانت البداية الثانية للخليج من فرع رشيد وكان موضعها في التقاء الفرع مع بداية الخليج، ومثلتأحد التوابع الكبرى لناحية نقيدى بن فلس

(النقيدى)،وقد وصف المقريزى شابور بأنها محلة عمرانية كبرى واسعة الغلات وربطها بخليج شابور(الخطط،ج١،ص١٧٠،محمد رمزى،ج٢،ص٣٣٨).

- منية ببيج (الظاهرية):من أهم المحلات العمرانية المرتبطة بخليج الإسكندرية ووردت بالمصادر باسمى محلة ببيج" و"منية ببيج"وتغير اسمها فى الروك الناصرى إلى"الظاهرية" مرتبطة بحيازة مساحتها ١٠٧٢ فدان وبعبرة مقدارها ٢٤٠٠دينار،وحدد ابن مماتى موضعها على رأس الخليج الظاهرى من مأخذه بفرع رشيد،وارتبط كلاهما (المحلة والخليج) بالسلطان الظاهر بيبرس والذى يعود إليه الفضل فى إعادة حفر خليج الإسكندرية فى القرن الثامن الهجري/١٤م،وتحرف اسمها من الظاهرية إلى الضهرية(محمد رمزى،ج٢،ص٢٤٦).

- أبومنجوج: تعد أبو منجوج من القرى المهمة على محور الظاهرية ـ قراقس حيث وردت فى الروك الناصرى كإحدى النواحى المهمة بزمام يبلغ ١٠٧٠فدان وعبرة تعد من الأرقام العالية وهو ٣٠٠٠ دينار، واحتلت موضعها على الجانب الأيمن للخليج الظاهرى وتعرف حالياً باسم بومنجوج،(محمد رمزى،ج٢،٣٠٤).

- محلة بتوك(أبتوك):من القرى التابعة لأبومنجوج حيث تتاخمها من الشمال وعلى ذات المحور وإن وردت فى الروك الناصرى كناحية مستقلة ذات زمام بلغ ٧٤٣فدان وعبرة مقدارها ١٢٠٠دينار،وتحور اسمها خلال الترابيع العثمانية إلى أبتوك(محمد رمزى،ج٢،ص٣٠٤)،شكل(٩).

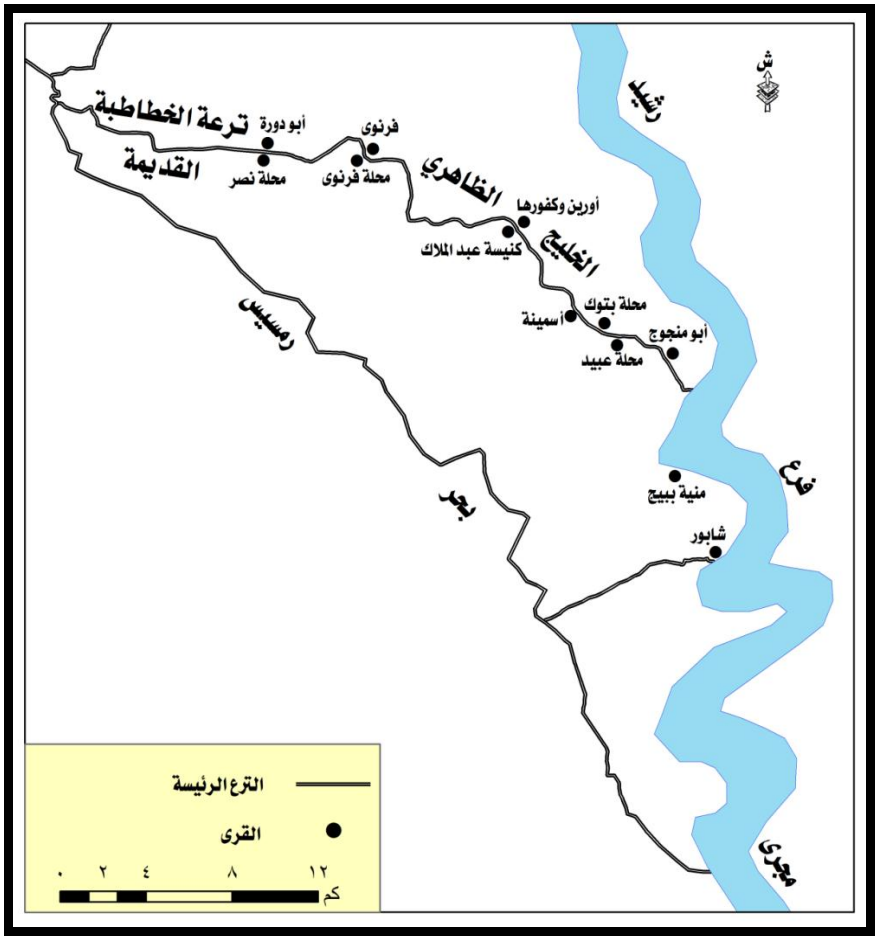

شكل (٩) المحلات العمرانية المرتبطة بالخليج الظاهري(ق٩هـ/١٥م)

المصدر: عمر طوسون، تاريخ خليج الإسكندرية (١٩٤٢)، خريطة رقم٣.

- أسمينة (أسمانية):إحدى النواحى الكبرى التى تقع على الخليج الظاهرى وعلى الجانب الأيسر منه فى مواجهة محلة بتوك بزمام ورد بالتحفة السنية ١٤٤٧فدان،وعبرة٢٠٠٠دينار،وقد تحرف اسمها إلى أسمانية(محمد رمزى،ج٢،ص٣٠٥).

- أورين وكفورها(أورين):تعد من أهم النواحى العمرانية بمحور الخليج الظاهرى وعلى الجانب الأيمن منه، ذات توابع متعددة والأعلى فى قيمة خراجها المتحصل منها والذى يربو على٨٠٠٠ دينار وزمام زاد على

خمسة(٥٠٠٤) آلاف فدان،وهى محلة مصرية قديمة أوردها "دى ساسى" فى قاموسه باسم هورينHourin وتحرف الاسم إلى أورين(محمد رمزى،ج٢،ص ص٣٠٦-٣٠٧)

- كنيسة عبد الملك(كنيسة أورين):ذكر هذه الناحية المخزومى باسم كنيسة عبد الملك على خليج الظاهرى وتعد من أهم توابع أورين وتوءمها على الجانب الأيسر من الخليج،واستمرت تحمل هذا الاسم حتى الروك الناصرى بزمام يبلغ قدره ٤٤٣فدان وضريبة قدرها ١٥٠٠دينار،ونسبت بعد ذلك إلى أورين وعُرفت بكنيسة أورين(محمد رمزى،ج٢،ص٣٠٨).

- فرنوى: حملت هذه المحلة اسم الخليج القديم والذى ذكره ابن حوقل خلال القرن الرابع الهجرى(١٠م)،واحتلت موضعاً يتوسط مجرى الخليج، وأكد ابن حوقل على أهمتها العمرانية بموقعها المتميز ووصفتها المصادر بأنها "مدينة كبيرة... كثيرة البادية..." أى أن القبائل العربية تمثل أغلب قاطنيها،ويدلل ذلك على قدم فرنوى ويؤكد على أهميتها أنها من المحلات الأعلى خراجاً بين محلات الخليج الناصرى (٨٤٠٠ دينار) وزمام مساحته ٢٠٤٣ فدان،وكانت تمثل مركزاً تجارياً بالإضافة لأهمية موضعها الزراعى(محمد رمزى،ج٢، ص ص٣٠٧-٣٠٨).

- محلة فرنوى:إحدى توابع فرنوى ولكنها ذات زمام مستقل يتسم بالاتساع حيث يزيد على ألف وثلاثمائة (١٣١٥) فدان،وضريبة قدرها ٢٠٠٠ دينار،واحتلت موضعاً على الجانب الآخر من مجرى الخليج الظاهرى قبالة المحلة الأم(فرنوى).

- أبو دورة(أبو دره): وردت هذه القرية محرفة باسم "أبو دورة" تقع على الجانب الأيمن للمجرى الأعلى لخليج فرنوى وارتبطت به واستمرت هكذا حتى الروك الناصرى حيث ارتبطت بالخليج الظاهرى ورد اسمها مصححاً(أبو دره) وكان مساحة زمامها يقترب من ألف(٩٨٧) فدان،وعبرة كبيرة نسبياً (٣٠٠٠ دينار) مقارنةً بحيازتها،ويدلل ذلك على أهميتها العمرانية والاقتصادية.

– محلتا نصر ومسروق:من أكثر النواحى التى تعرض اسمها للتحريف حيث وردت فى المصادر بأسماء مختلفة(محلتا نصر وخروف،محلتا نصر ومسروق،.....)،وكان موضع هذه المحلة على فوهة ماأُطلق عليه ترعة الخطاطبة القديمة وهى الجزء الشمالى والمكمل للخليج الظاهرى وفى مواجهة قرية أبودرة على الجانب الاخر من الخليج ،وأوردها ابن الجيعان فى التحفة باسم محلتا نصر ومسروق ومساحة حيازتها ٦٢٠ فدان وعبرة تبلغ ١٤٠٠دينار،وقد اندثرت محلة مسروق واحتل موضعها عزبة سليم طوبجال(دمنهور)وتتاخم هذه العزبة القرية الأخرى (محلة نصر)والتى لاتزال قائمةً حتى الآن(محمد رمزى،ج٢،ص٣١٠).

اندرج تحت إطار هذا المحور من خليج الإسكندرية بمسمياته المختلفة سواء ما ذكره ابن حوقل(ق٤هـ/١٠م) باسم خليج فرنوى والذى لم يرد ذكره فى أى مصدر بعد ذلك كمجرى مائىمستقل وإنما أصبح معظم أجزاء هذا الخليج يشكل المجرى الأعلى لخليج الإسكندرية والذى عُرف باسم الخليج الظاهرى، ولم يتم الاستدلال على ماتبقى من مجرى خليج فرنوى نظراً لتسويته بالأراضى الزرعية أى أصبح أثراً بعد عين، وإن ظلت بعض المحلات العمرانية الواردة على هذا المحور تحمل مسمى هذا الخليج، ويأتى اسم ترعة "الخطاطبة القديمة" كجزء مكمل للخليج الظاهرى (عبد العال الشامى،ص٣٤٦ وعمر طوسون،ص٢٢).

– العطف كفر الحمايدة:

يتفق هذا المجرى مع إحدى نقاط تفرع الخليج من فرع رشيد وهى بلدة العطف(بلهيب) وهى المرحلة الرابعة من التغييرات التى شهدتها فوهات الخليج،ويشير المقريزى إلى هذا المجرى مشيداً بدوره عمرانياً "....وعمرت منه بلاد كثيرة وتحول عالم عظيم إلى سكنى ما استجد عليه...." وقد ارتبط هذا المجرى باسم الخليج الناصرى نسبة إلى السلطان المملوكى الناصر محمد بن قلاوون حيث أُعيد حفر الخليج فى عصره(ق٨هـ/١٤م).

- بلهيب(العطف):تعد قرية بلهيب النقطة الرابعة لبداية مأخذ الخليج من مجرى فرع رشيد، وقد ارتبطتبالمجرى الممتد بين بلهيب أو "العطف" كما أوردتها المصادر وقرية كفر الحمايدة على خليج الإسكندرية،وقد احتلت بلهيب هذه موضعاً على جبهتين مائيتين هما فرع رشيد من ناحية وترعة الناصرى من ناحية أخرى وكانت تقابلها على الجانب الآخر من فرع رشيد مدينة فوة قاعدة عمل فوة والمزاحمتين.

- الرحمانية ←كفر الحمايدة:

ارتبط هذا القطاع من خليج الإسكندرية بمسمى محلى أيضاً وهو"بحر دمنهور" وكان يمتد هذا المجرى فيما بين(محلة عبد الرحمن) الرحمانية على فرع رشيد وهى الفوهة الخامسة طبقاً لعمر طوسون(ص٢٨) وقراقص(قراقش) جنوبى دمنهور، ويبدو أن هذا القطاع والذى ارتبط باسم بحر دمنهور كانت فى عهد المخزومى(ق٦هـ/١٢م) إحدى الترع الواصلة مابين فرع رشيد وخليج الإسكندرية والتى أُعيد حفرها سنة ٨٢٦هـ/١٤٥٧م(المقريزى،الخطط..،ج١،ص١٧٢)للاستفادة منها كمخرج للخليج.

أطلقت بعض المصادر على هذا المخرج اسم ترعة "الأشرفية" منسوبة للسلطان المملوكى الأشرف برسباى(عمر طوسون،ص٢٩)،ويمكن القول أن بحر دمنهور مكملاً للمجرى الذى أطلق عليه المخزومى اسم "بحر رمسيس"،وتعد هذه المرحلة آخر التعديلات التى تمت خلال مرحلة الأعمال وفيها لأول مرة تقهقرت نقطة تحويل الخليج من (العطف) فى الشمال إلى (الرحمانية) جنوباً،وارتبطت بهذا المحور عدة محلات مثل:

- محلة عبد الرحمن(الرحمانية):وردت فى المصادر المتعددة باسم "محلة عبد الرحمن" واحتلت موضعاً على الجانب الأيسر من ترعة الأشرفية من مخرجها على فرع رشيد وأورد ابن الجيعان حيازتها والتى تدخل فى عداد الحيازات الكبرى حيث تزيد على ألفين وأربعمائة(٢٤٤٠) فدان، وضريبة قدرها ٦٦٠٠دينار يعكس حجمها أهمية هذه الناحية بتوابعها

المتعددة،وتأهلت بعد ذلك هذه المحلة بعد تحريفها إلى مدينة"الرحمانية"، شكل(١٠).

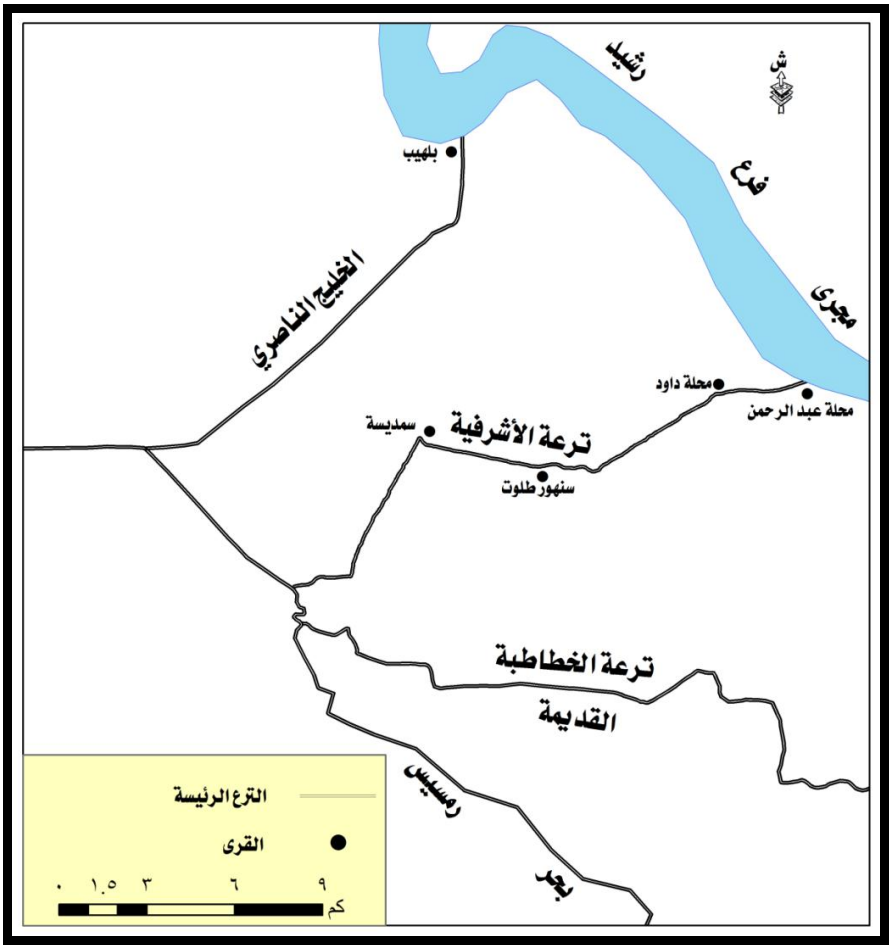

شكل (١٠) المحلات العمرانية المرتبطة بترعة الأشرفية (ق٩هـ/١٥م)

المصدر: عمر طوسون، تاريخ خليج الإسكندرية (١٩٤٢)، خريطة رقم٣.

- محلة داود: إحدى التوابع الكبرى لمحلة عبد الرحمن وكانت تقع على الجانب الأيمن من ترعة الأشرفية وتدلل حيازتها (٢١٧١ فدان) وقيمة الخراج

عليها(٥٩٠٠) دينار خلال الروك الناصرى على أهميتها كناحية عمرانية مهمة.

- سمديسةٍ(سماديس): كانت هذه الناحية تقع على المجرى الأدنى لترعة الأشرفية ووردت فى بعض المصادر باسم "سماديس" وذكرت كذلك باسم "سمديسة" فى الروك الناصرى مقرونة بمساحة حيازة تبلغ ١١٦٧ فدان وضريبة مقدارها ٢٥٠٠ دينار،وقد اندرست هذه المحلة وذكر محمد رمزى أنها لم ترد فى تاريع ١٢٤٠هـ (١٨٢٤م)،واحتل موضعها حالياً قرية سنابادة(محمد رمزى،ج٢،ص٢٧١).

- سنهور طلوت(سنهور):على المجرى الأوسط لترعة الأشرفية،وقد ذكرها المخزومى على خليج الإسكندرية باسم سنهور الصغرى، ثم وردت فى الروك الناصرى باسم سنهور طلوت بحيازة تندرج ضمن الحيازات المتسعة (٣٠٢٠) فدان،وعبرة مرتفعة تقترب من الخمسة آلاف (٤٨٠٠) دينار،وقد اختصر اسمها فى تاريع ١٢٤٥هـ (١٨٢٩م) إلى سنهور (محمد رمزى،ج٢،ص٢٨٧).

(ج) النواحى العمرانية المرتبطة بخليج الطيرية:

قدم المخزومى - ونقل عنه ابن مماتى- معلومات مفصلة عن خليج الطيرية وأكد على أهميته فى الزراعة على الجانب الغربى لإقليم البحيرة وحدد المخزومى جريان الماء فى هذا الخليج من مخرجه عند الطيرية على فرع رشيد إلى أن يضرب جسر شبرا وسيم (كوم حمادة)،وقد فصل المخزومى وعدْدٌ جملة النواحى والمحلات العمرانية المرتبطة بجانبى هذا المجرى والمستفيدة حيازتها الزراعية من خليج الطيرية (المنهاج..،ص٨٩٥)،وأهم هذه النواحى والمحلات:

-الطيرية:اكتسب الخليج اسمه من هذه الناحية التى تقع على فرع رشيد ومنها يبدأ رحلته صوب الهامش الغربى لعمل البحيرة باتجاه شمالي غربي، وقد وردت هذه الناحية بحيازة مساحتها ١١٧٨ فدان،وعبرة قدرها ٢٢٥٧دينار وهى من النواحى ذات التوابع المتعددة،وكان موضعها على الجانب الأيسر من الخليج ويقابلها على الجانب الآخر ناحية كوم شريك والتى تقع على فرع رشيد فى حين تحتل الطيرية فم الخليج.

شكل (١١) المحلات العمرانية المرتبطة بخليج الطيرية (ق٩هـ/١٥م)

المصدر: عبد العال الشامي، (١٩٩١)، نظام الري والزراعة، ص ٣٩٦.

– العضامى: إحدى التوابع الهامشية وتكاد تكون هذه المحلة هى الوحيدة من بين نواحى هذا المحور الأكثر هامشيةً بموضعها على تخوم المعمور الغربى،وبالتالى تعرضها للاندثار، ويُعرف موضعها حالياً باسم "تل العضامى"بأراضى ناحية مغنين (كوم حمادة)(محمد رمزى،ق١،ص١٩٣).

– الزعفرانى:من النواحى الكبرى على خليج الطيرية بحيازة تبلغ ١٣٠٠ فدان،وضريبة ١٨٠٠ دينار،واحتلت الزعفرانى حوضاً زراعياً متسعاً على الجانب الأيمن للخليج مما أتاح لها التوسع والتمدد العمرانى.

– دبست ودست: من النواحى القديمة ذكرها "جوتييه" فى قاموسه باسم"هات است"بمعنى"قصر الآلهة"ثم تحرفت فى القبطية إلى "تسيت"،أما فى الروك الناصرى فوردت باسم"دست وبست"بحيازة زراعية مساحتها ٧٥٠ فدان وعبرة مرتفعة تزيد على ألفين وخمسمائة(٢٥٨٥) دينار وفى العصر العثمانى أُضيفت كلمة الأشراف على دست فأصبحت "دست الأشراف"،أما الناحية الأخرى دبست فقد تعرضت للاندثار ويدل على موضعها الحوض الزراعى رقم ٧ بأراضى الحدين بكوم حمادة(محمد رمزى،ج٢،صص٣٣٥-٣٣٦)، شكل (١١).

–اليهودية:إحدى النواحى العمرانية المرتبطة بخليج الطيرية بزمام يبلغ ١٧٦ فدان وضريبة قدرها ١٤٠٠ دينار،والتزمت هذه المحلة نفس المحور الذى التزمته أغلب محلات خليج الطيريةوهو الجانب الأيمن للخليج،وقد تغير مسمى هذه القرية من اليهودية إلى الوفائية(محمد رمزى،ج٢، ص٢٦١).

– درشاى(درشو):قرية قديمة وردت بقاموس "جوتييه" تحت اسم "هات شات" أو قصر الرمال وتبدو دلالة هذا الاسم وارتباطه بهامش الإقليم ثم تحرف الاسم اللاتينى إلى درشو(محمد رمزى،ج٢،ص٢٦١) وقد ارتبطت

هذه المحلة بالجانب الغربى لخليج الطيرية وهى أقرب لهامش المعمور الغربى وكانت ذات توابع متعددة وزمام زاد على ألفين ومائتى(١٢٠٦) فدان،وعبرة تبلغ ٣٨٤٠دينار وهى الأعلى فى النواحى العمرانية المرتبطة بخليج الطيرية.

– قمحة:إحدى توابع درشاى ومن المحلات المهمة المرتبطة بالخليج وكانت ذات زمام خاص بها يزيد على ثمانمائة(٨١٣) فدان وضريبة كبيرة نسبياً (٢٦٠٠) دينار.

(٢)خصائص العمران الريفى:

يُقدر عدد المحلات الريفية التى لازمت خليج الإسكندرية وفروعه المتعددة وكذلك خليج الطيريةبحوالى خمسون(٥٠)محلة تشكل نسبة ٢٢,٥% من جملة محلات عمل البحيرة والتى تبلغ حوالى مائتين واثنان وعشرون(٢٢٢) ناحية زمامية معتبرة والتى أوردها ابن الجيعان فى التحفة السنية(ص٤،ص ص١١٦-١٣٦).

(أ)أشكال المحلات الريفية:

توارثت هذه القرى هذه المواضع تاريخياً، بل لازم العديد منها نفس الموضع ولم يتزحزح عنه قيد أنملة، وتزحزح البعض الآخر عن تلك التى فقدت خصائصها وبحثت لها عن مواضع أخرى أكثر ملائمة، فى حين اندثرت مواضع عمرانية كليةًوتعرضت للاندراس الكامل(Holz, R., p. 261)،لفقد موضعها مبرر وجوده.

تأثرت هذه القرى بمواضعها على هذهالمجارى المائية ويبدو ذلك فى التزامها بالجسور المرتفعة على جانبى المجرى المائى،وانعكس موضع المحلة شكلها العام ومورفولوجيتها بموضعها المائى حيث يتخذ البعض منها الشكل

الطولى الناتج عن ضيق الجبهة المائية،والتزمت هذه القرى بالمواضع المرتفعة من ضفتى هذه المجارى فى مأمن من غائلة الفيضان،والتزمت بخطوط الكنتور المرتفعة تجنبا لفيضان المياه وآثاره المدمرة، متخيرة النقاط المرتفعة فيما بين (٣:٥م) فوق مستوى السهل الفيضى (Butzer, p.16).

وبالرغم من ذلك لم يكن هذا كافياً أو عاملاً أساسياً للحماية،وبخاصة المواضع التى تشرف على النهر مباشرة وتكون المحلة حينئذ عرضة للنحروالتجريف من قبل الماء، ومن ثم يكون الاتجاه نحو بناء سياج مرتفع ليكون حاجزا بين المجرى والقرية. إلا أن معظمها لا يبتعد عن الشكل الدائرى، وذلك لضآلة رقعة المساحة المبنية وأيضاً عدم حتمية ارتباطها وظيفياً بالماء.

وقد تأثرت هذه القرى بمواضعها التلية حيث أخذت الشكل المتكتل أو القرية الدائرية Round حيث تتجمع القرية حول نفسها فوق هذه الربوة أو التل وتكون عبارة عن كتلة سكنية متداخلة Compact يحيط بها شارع رئيسى وهو ما يعرف باسم "داير الناحية" الذى يمثل الحد الفاصل بين نواة القرية القديمة وباقى الامتدادات الحديثة (جمال حمدان ، ص٢١٦).

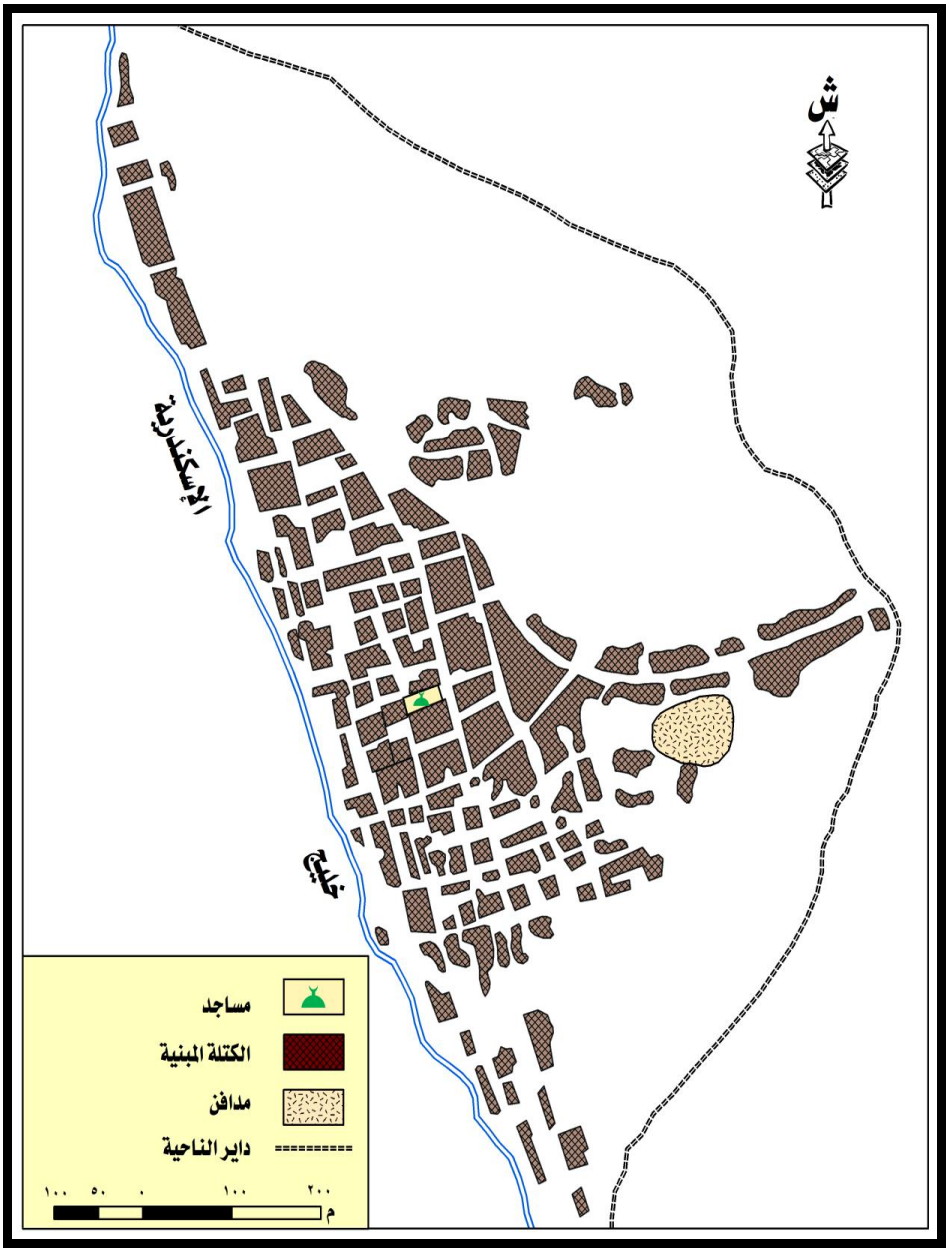

شكل (١٢) تأثير الموضع المائى وتمدد القرية على المجرى المائى(دمشوية) على الجانب الأيمن لخليج الإسكندرية

المصدر :الهيئة العامة للمساحة،خرائط فك الزمام،مقياس:١:٢٥٠٠ (قرية زاوية غزال).

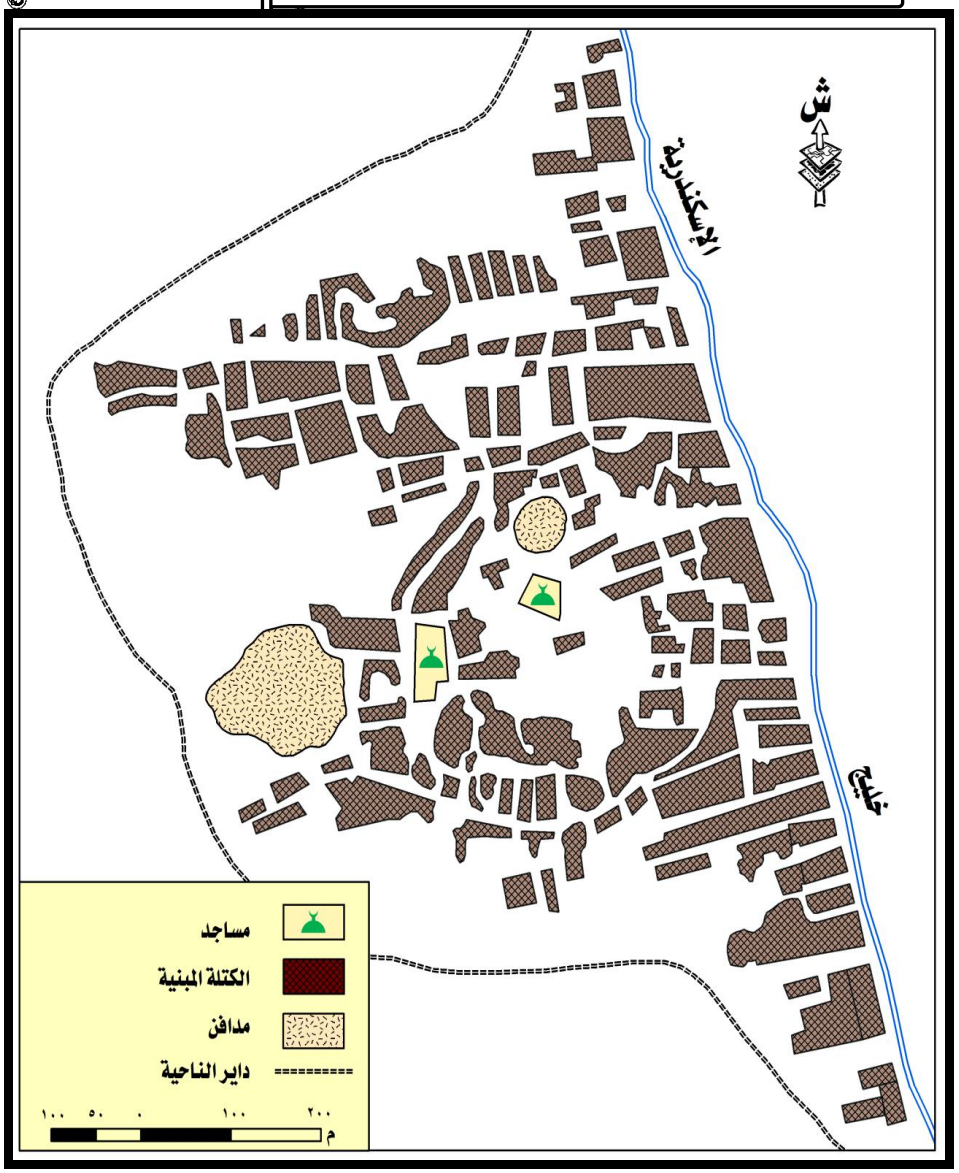

شكل (١٣)الكتلة المتداخلةCompact على الموضع المائى (كنيسة عبد الملك)

على الجانب الأيسرلخليج الإسكندرية

المصدر :الهيئة العامة للمساحة،خرائط فك الزمام،مقياس:١:٢٥٠٠ (قرية كنيسة أورين).

(ب)العبرة (الضريبة) وأحجام المحلات الريفية:

تفاوتتمساحاتالحيازة الخاصة بالنواحى الزمامية ومقدار العبرة المقررة على هذه النواحى ما يمكن تصنيفه إلى ثلاث:العالية والمتوسطة والمنخفضة،ويمكن أن تعكس هذه الأرقام مؤشراً أو ملمحاً على أحجام هذه المحلات العمرانية واتساع زمامها فى ظل غياب الأرقام والبيانات السكانية الحديثة،ويمكن تصنيف هذه النواحى إلى ما يلى:

١- النواحى المرتفعة العبرة(الضريبة):

تمثل العبرة أو الضريبة المقررة على حيازة الناحية انعكاساً للحالة العمرانية والاقتصادية لهذه النواحىلارتباطها بالحيازة الزراعية،ففى إطار هذه الفئة تندرج تسع(٩) نواح عمرانية تتراوح عبرتها مابين ثمانية وأربعة آلاف دينار وتأتى كل من فرنوى(٨٤٠٠) دينار وأورين وكفورها (٨٠٠٠) دينار ومحلة عبد الرحمن(٦٦٠٠)دينار كأكبر ثلاث نواحى هذه الفئة.

بالإضافة لهذه النواحى الثلاث هناك أيضاَ محلة داود (٥٩٠٠)دينار،محلة بنى واقد(٥٤٠٠)دينار،سنهورطلوت(٤٨٠٠) دينار،معنيا(٤٢٠٠) دينار،النبيرة (٤٠٠٠)دينار،درشاى (٣٨٤٠)، دينار.

تعد هذه الحيازات أخصب أراضى النواحى العمرانية المرتبطة بالمجارى المائية فى البحيرة وانعكس ذلك على حجم العمران وكثافته فاحتوت على عدة توابع عمرانية متعددة(أورين وكفورها)وتتصف محلات هذه الفئة بالاتساع والتمدد تعكس معها طبيعة إمكاناتها الزراعية مما أوجد فرصاً لتوسع القرية الأم وانقسامها مع الزمن إلى عدة نواح ثم ما تلبث أن تستقل هذه النواحى وهكذا،كفرنوى ومحلة فرنوى،كفور أورين،داود ومحلة داود،سنهور الصغرى والكبربوغير ذلك.

٢- النواحى المتوسطة العبرة:

تمثل هذه النواحى السواد الأعظم من النواحى العمرانية المرتبطة بخليجى الإسكندرية والطيرية وتتراوح قيمة العبرة مابين ألفين وثلاثة آلاف دينار،ومن هذه النواحى:أفلاقة وكفر الحمايدة(٣٠٠٠)دينار،شبرى بار(٣٠٠٠)دينار،الكريون(٣٠٠٠)دينار،أبو منجوج(٣٠٠٠)دينار،أبو دره(٣٠٠٠)دينار،دست وبست(٢٥٨٥)دينار،سمديسة(٢٥٠٠)دينار،شكل (١٤).

أسهم فى زيادة الرقعة الزراعية فى هذه النواحى وبالتالى ثبات عبرتها مشروعات الرى الرائدة التى قام بها الملك الناصر محمد والتى كانت بمثابة الدافع الأكبر لاستصلاح المزيد من الأراضى، وأبرز نموذج لذلك تجديده لحفرخليج الإسكندرية مرتين،(الشجاعى، ص١١٤)، وقام بنقل مأخذه من قرية الظاهرية (الضهرية) إلى العطف تجاه الشمالوهى المرحلة الرابعة.

ويؤكد ابن إياس على أهمية خليج الإسكندرية حينذاك "استجد عليه عدة سواقى وبساتين وأراضى كانت سباخاً وصارت مزارع قصب سكر وسمسم وغيره .....، واستمر الماء فى خليج الإسكندرية طوال السنة .....، وعظمت المنافع به"،(النجوم الزاهرة، جـ٩، ص ص ١٧٨-١٧٩).

وتبعاً لذلك اتسعت الأرض الزراعية بعمل البحيرة وحده بما يربو على مائة ألف فدان، واستحداث ما يزيد على أربعين قرية جديدة أبرزها قرية الناصرية (نكلا العنب) عند بداية الخليج (الشجاعى،ص٣١٦)،ولعب نفس الدور "خليجى الطيرية وفرنوى ..." مما جعل ماء الفيضان يتجاوز نطاق الأراضى الزراعية إلى مناطق أخرى لم تكن تزرع من قبل، فأصبحت تقع فى نطاق المعمور،(عبدالعال الشامى١٩٩١، ص٣).

شكل(١٤) تصنيف المحلات الريفية حسب العبرة المقررة على زمامها الزراعى

المصدر: تم الاعتماد فى رسم هذا الشكل على ما ورد بقائمتي ابن دقماق(٨٠٩هـ) وابن الجيعان (٨٨٥هـ).

٣- النواحى المنخفضة العبرة:

هناك العديد من النواحي ذات العبرة المنخفضة مثل: كوم جعيف(١٠٠٠)دينار،طربينا(٧٥٠)دينار كيمان سراس(٥٠٠)دينار،طاموس(٤٠٠)دينار،دمشوية(٤٠٠)دينار..... لايعنى إدراج هذه النواحى فى ذيل القائمة بسبب سوء تربتها حيث ترتبط مواضعها بالمجارى المائية، وإنما مرجعه إلى أن غالبية حيازتها إما أنيكون "مستبحراً" أى أن الماء كان يغطيها وتظل بدون تصريف حيث يمر وقت الزراعة،أو أن يكون "خرساً" وهى الأراضى التى تفسد تماماً لاستحكام الأعشاب بها، أو تصبح فى إطار"الوسخ" وهى الأرض التى تغلب عليها الحشائش والأعشاب، ويقف ذلك عائقاً أمام زراعتها.

ويؤكد ابن الجيعان في مقدمة "التحفة السنية .." على نقطة غاية في الأهمية فهذا الإطار حيث يذكر "... فلما تطاول الزمان وخرب غالب البلدان وتبدلت الأحوال وعمر ما كان خراباً وخرب ما كان عماراً وتغير سعر الدينار وارتفع وعظم الخطب في ذلك واتسع لم يبق للعبرة عبرة ولكن يستأنس بها الآن في الجملة ..."،(ص ٣)، فلم يبق للعبرة عبرة (أي منفعة) سوى الاستئناس بها وهو ما تم هنا.

لايعكس هذا التصنيف بالضرورة قيمة فعلية للأرض الزراعية بكل فئة أو درجة لأنهقائم على مقياس مختلف عن المفهوم الحديثلتصنيف التربة والذى يعنى الخصائص الكيميائية والطبيعية لها، ولكنه مقياس نزع إليه رجال الإدارة والقائمين على تحصيل العبرة لتقدير قيمة الضرائب أو الخراج "الكامن" ويعنى المحصول المنتظر من كل فئة حيث إن المحصول هو الذى يحدد الضريبة وليست الأرض ذاتها هى التى يقرر عليها الخراج.

(ج)المحلات الريفية المندرسة:

تعرضت العديد من القرى للتدهور العمرانى ومن ثمالاندراس الكامل وذلك لأسباب متعددة فظلت أسماء هذه المحلات المندرسة مرتبطةً بأحواضها الزراعية التى تتاخمها فتصبح"غيط من غير حيط"(محمد

رمزى،ج١،ص١٢)،وأحياناً يُطلق نفس الاسم على قرية مستحدثة النشأة ومجاورة لموضع القرية المندرسة أو تشاركها فى الزمام فتُسجل القرية الحادثة وزمامها بقوائم الروك بنفس الاسم القديم وتعد على أنها وحدة مالية وخراجية حديثة.

وقد تعرضت عديد من القرى المرتبطة بالمجارى المائية غربى مجرى فرع رشيد للاندراس مثل: العضامى(تل العضامى) ودبست(حوض دبست رقم ٧ بأراضى الحدين/كوم حمادة)على خليج الطيرية، وشبرى بار(أبو حمص)ومحلة مسروق(عزبة سليم طوبجال/دمنهور) ونقيدى التراز(حوض النقيدى/إتاى البارود) على مجرى خليج الإسكندرية وتوابعه.

لم يختف ذكر العديد من هذه النواحى كليةً فى المصادر حيث قامت العديد من توابع هذه القرى بالاضطلاع بالوظيفة العمرانية للمحلة الأم وعادة ماتحمل نفس المسمى المندرس(تل العضامى)،وأحياناً ماتندرس الناحية تماماً،أى إسماً ورسماً -بتعبير محمد رمزى- حيث تخرب القرية تماماً ويبقى اسمها علماً على الحوض الزراعى(حوض دبست،حوض النقيدى...).

تباينت أسباب اندراس المحلات الريفية وإن كان فقدان الموضع لخصائصه هو القاسم المشترك فى عملية الاندثار سواء بارتفاعه عن طريق تراكم الأنقاض وتحول القرية إلى كومة تلية يصعب الاستقرار بها أو هامشية الموضع وتبعاته.

احتلت هذه المواضع العمرانية الروابى والتلال المرتفعة عن مستوى الفيضان منذ نشأتها الأولى وازدادت هذه المواضع ارتفاعاً بتعاقب الأزمنة والمراحل التاريخية المتعاقبة مما جعلها فى مأمن من غائلة الفيضان وآثاره التدميرية، وفى بعض الأحيان تفقد هذه المواضع التلية خصائصها وتصبح غير ملائمة للسكنى والاستقرار،ومن ثم تهجر كليةً وتندرس ويندرج تحت هذا الإطار العديد من القرى السابق ذكرها (كيمان سراس،شبرى بار،محلة مسروق،سنابادة...)،شكل(١٥).

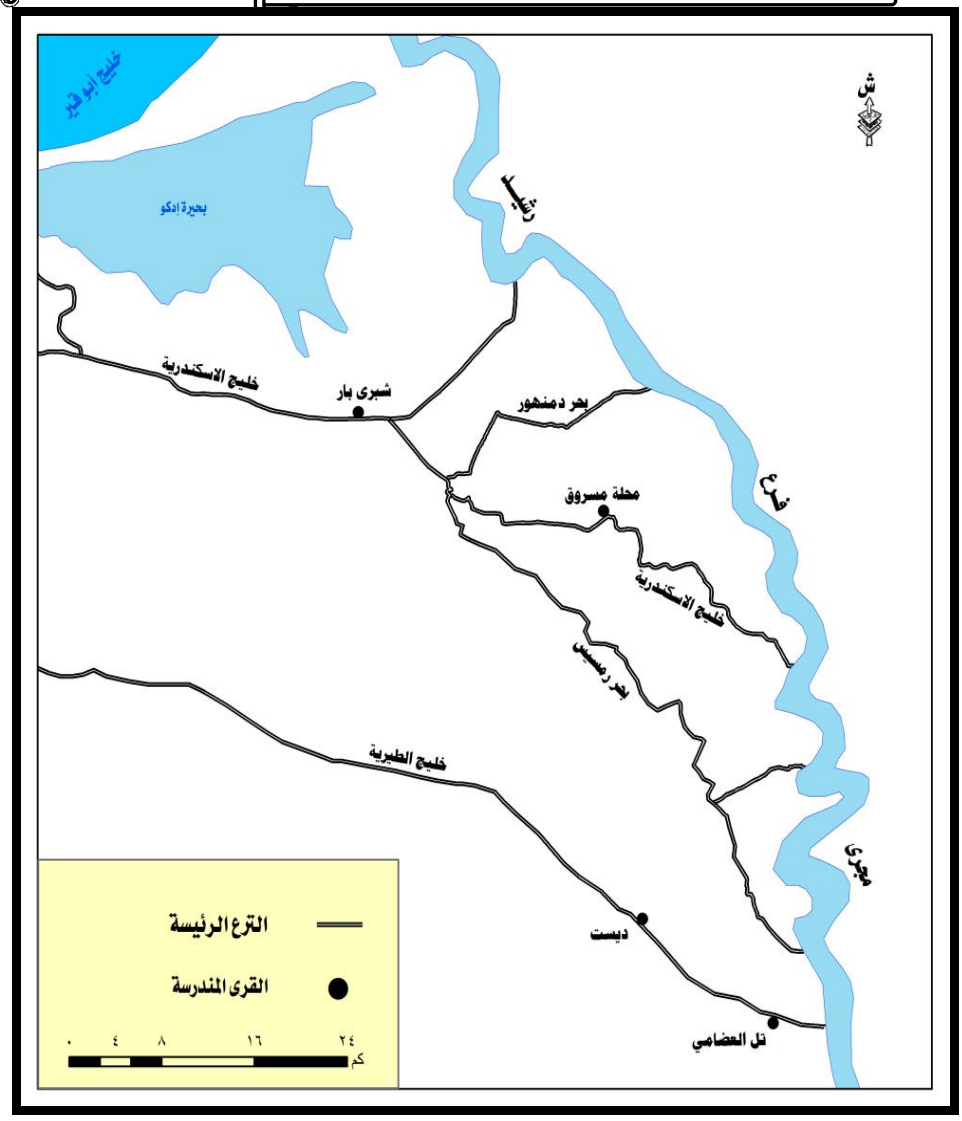

شكل (١٥) القرى المندرسة بمنطقة الدراسة طبقاً لما ورد بالتحفة السنية

المصدر: تم حصر هذه النواحى من خلال ما ورد عند كل من ابن دقماق وابن الجيعان.

أما ناحية "العضامى" بموضعها على الهامش الغربى من خليج الطيرية وهى منطقة انتقالية بين الوادى والصحراء فكان أغلب زمامها معرضاً لسفى الرمالولم تصل إليه المياهخاصةً فى حالة إطماء الخليج، فلم تُمكن هذه الأراضى من الزراعة، وظهر تأثير ذلك على العمران بهذهالناحية من حيث

التخلخل ثم الاندثارمتأثرةً بظروف هامشية الموضع،أو مايُعرف باسم عملية " النبض الهامشي" Marginal Vibrancyوهي عملية التذبذب فيما بين الإعمار والخراب تبعاً للأحداث التي يتعرض لها العمران وتؤثر سلباً أو وإيجابا فهذه القرى الهامشية من أكثر النواحى تضرراً كونها الأكثر حساسيةً وتأثراً بعوامل التدهور والانكسار مقارنةً بالنواحى الأخرى(Boak,A.,p.362).

تنوعت القرى المندرسة بتباين مواضعها بقلب الإقليم أو على هامشه الغربى، وتباين مساحة حيازتها ومقدار عبرتها،فمنها القرى "المعتبرة" ذات التوابع(شبرى بار ومحلة مسروق ودست الأشراف)ومنها أيضاً بعض التوابع الصغيرة(كيمان شراس وحوض فارس وبست)،(ابن دقماق،ج٥،ص١١١).

وتفاوت زمنياً أيضاً اندثار هذه المحلات الريفية فمنها ما أشارت إليه مصادر الروك الناصرى(ابن دقماق..وابن الجيعان..) مثل"النقيدى التراز:٦٥ فداناً،العبرة ١٨٠ دينار والآن رزقه خراب" أو"" خراب داثر" بتعبير ابن الجيعان(التحفة...،ص١٢٢،ص١٣١)،ومنها ما لم يرد ذكره فى عمليات فك الزمام فى العصور اللاحقة كالترابيع العثمانية وغيرها، وأشار إليه محمد رمزى فى الجزء الأول من القاموس الجغرافى (البلاد المندرسة) وتم الرجوع إليه فى جملة المحلات المندرسة.

ثالثاً: المجارى المائية وعلاقتهابالعمران الحضرى: (مدينة دمنهور الوحش)[٨]

ورثت"دمنهور" دور مدينة قرطسا(عزب قرطسا وطاموس/دمنهور) والتى كانت القاعدة الإدارية فى مرحلة الكور الصغرى، ثم أصبحت دمنهور حاضرةوقاعدة لإقليمها الإدارى منذ مرحلة الكور الكبرى(ق٥هـ/١٢م) حتىعصرالأعمال الكبرى، ولم تتخل مطلقاً طوال هذه المرحلة الممتدة عن هذهالوظيفةلأية محلة عمرانية أخرى داخل نطاقها الإدارى،وقد أوردتهاالمصادر منذالقرنالسابع الهجرى(١٣م) باسم"دمنهور الوحش"[٩]ويصفها ياقوت الحموى خلال القرن السابع الهجرى(ق١٣م) بقوله"...بلدة متوسطة فى الصغر والكبر،أو

بليدة عامرة فيها أسواق حافلة وفنادق وإليها تُنسب الثياب الدمنهورية ..."(معجم البلدان،مجلد ٢،ص٣١٣).

(١)الموضع والموقع و العلاقات المكانية:

احتلت المدينة موضعاً متميزاً على خليج الإسكندرية كان له أبلغ الأثر فى تطور المدينة العمرانى والتزمت دمنهور بالخليج تلازماً عضوياً حتى مع التغيرات التى طرأت على تعدد فوهات الخليج خلال المراحل التاريخية المتعاقبة، فقد ارتبطت المدينة بالمجرى القديم له والذى كان يمثله ترعة الخطاطبة،ثم تغير هذا الارتباط لاحقاً فأصبح عن طريق بحر دمنهور،وقد كان لموقع المدينة علي خليج الإسكندرية،دوره فى توفير المياه العذبة لها ولظهيرهاالزراعى،وقدم وسيلةً مهمة لنقل السلع والأفراد بين دمنهور وإقليميها الداخلى والخارجى.

وقد توسطت المجمع العمرانى مدينة "دمنهور"ذات الحيازة التى تزيد على ألف ومائتى(١٢٣٠) فدان، وعبرة كبيرة تزيد على ثلاثة آلاف(٣٣٠٠)دينار(ابن مماتى،ج٥،ص١٠١)، مما يعكس أهمية هذه المدينة المتعددة التوابع،وكان يحيط بمدينة دمنهور عدة توابع ريفية كانت بمثابة النوايات التي شُكلت بعد ذلك المجمع الحضرى لمدينة دمنهور هى:

– أسكنيدة: مساحة زمامها١٤٣٧فدان،وعبرتها٢٥٠٠دينار، وتمثل الجزء الشمالى للمدينة.

– قرطسا:مساحة زمامها١١٣٧فدان،وعبرتها٩٠٠دينار، وتمثل الناحية الجنوبية لمدينة دمنهور.

–

أبعادية دمنهور(شبرا الدمنهورية):حجم حيازتها ٥٩٦٨ فدان، وعبرتها٦٠٠٠دينار وكانت بمثابة الضاحية الغربية للمدينة.

–

نقرها: مساحة زمامها ١١٦٥فدان،وعبرتها ١٣٥٠دينارتعد بمثابة التخوم الشرقية لمدينة دمنهور ويجاور نقرها ناحية طاموس ذات الحيازة التى

تبلـغ ٦٤٠ فـدان،وعبرة ٤٠٠دينـار وكانـت طـاموس تقـع جنـوب شـرقى دمنهور،(شكل ١٦).

يبدو على مورفولوجية مدينة دمنهور نوعاً من التخطيط العشوائى "غير المقصود" حيث تتداخل عناصر التركيب الداخلى للمدينة عبر ثلاثة أقسام غير محددة متداخلة، تتمثل فى الـ "نواة" أو قلب المدينة والتى تحتلها دمنهور الوحش ويجمع هذا الجزء بين القلب الدينى (المسجد) والتجارى (القياسر)، ثم القسم الأوسط المتمثل فى النوايات الريفية الثلاث المتاخمة(نقرها،أسكنيدة،قرطسا) والقسم الثالث يشكل الامتدادات الخارجيةللمدينة أو ما يعرف بظواهرها وتتمثل فى ناحيتى شبرا الدمنهورية وطاموس.

وقد ارتبطت مدينة دمنهوربحاضرتى مصر (القاهرة والإسكندرية) عبر عدة محاور منها المحور المائى عن طريق خليج الإسكندرية ومجرى فرع رشيد وبرياً عبر الطريق الأوسط المار بقلب الدلتا ويتاخم دمنهور غرباً وشكل هذا الطريق مركزاً بريدياً مهماً،بالإضافة لذلك هناك طريق ثالث وهو طريق الحاجر المتاخم لهامش الدلتا الغربىوالذى ربط بين دمنهور ومدينة تروجة(على بعد ٣٠كم جنوب غربى دمنهور)التى تقع على هذا الطريق، أما خارجياً فقد ارتبطت دمنهور بالطريق الواصل بين القاهرة وبلاد المغرب عبر وادي النطرون من خلال الطريق الذى يربط بينها وبين تروجة.

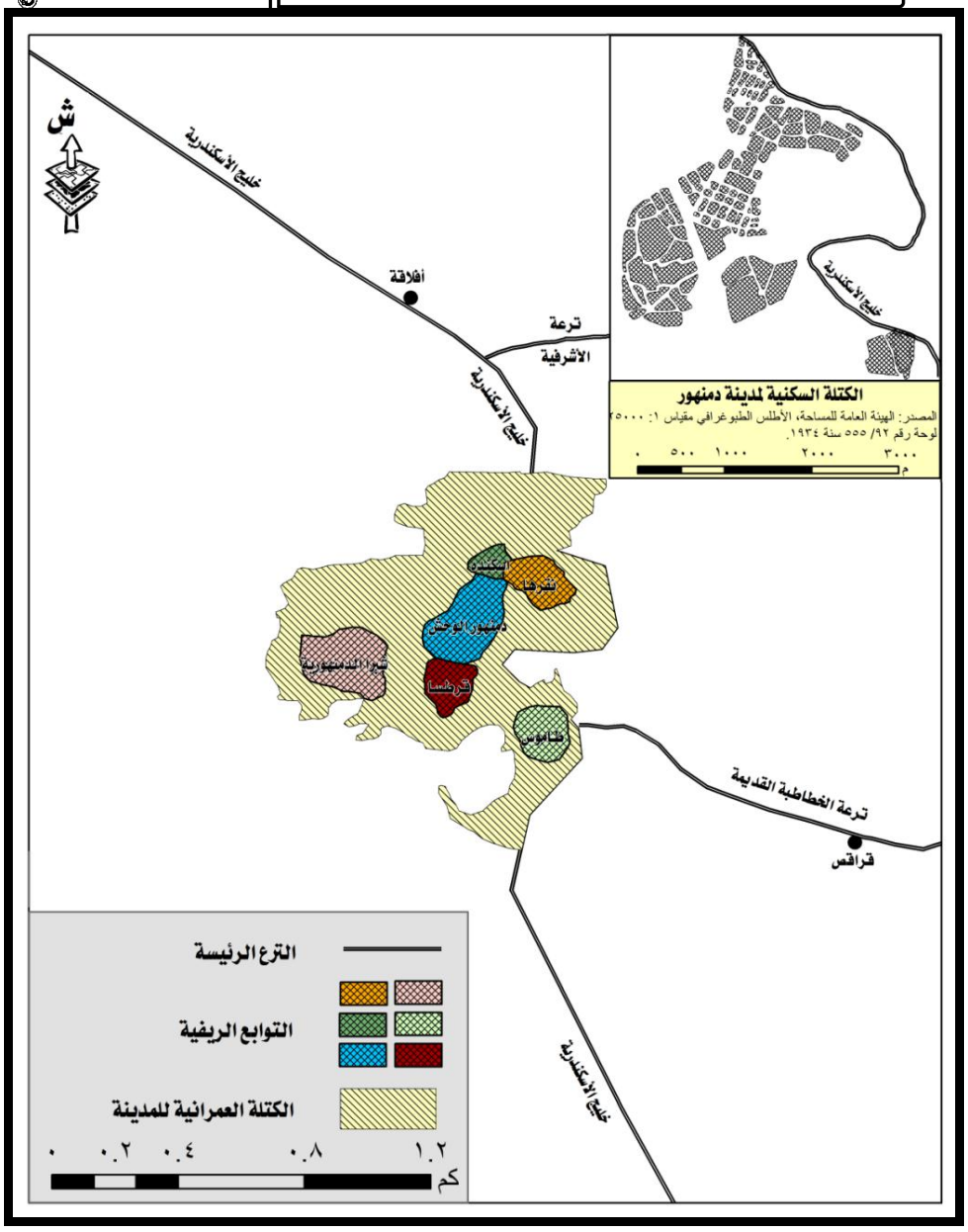

شكل(١٦) مدينة دمنهور والتوابع الريفية المتاخمة (ق ٨هـ/١٤م)

المصدر: عبد العال الشامي (١٩٧٧) مدن الدلتا، ص ٣٢١ (بتصرف محدود).

(٢)وظائف المدينة:

تمثل الوظيفة الإدارية للمحلة العمرانية خلال العصر الوسيط معياراً مهماً لإكسابها صفة المدينة أوالحاضرة لإقليمها، وذلك كونها مركزاً إدارياً ومستقراً لحاكم الإقليم ومنزلاً لقاضى القضاة بالإضافة إلى كونها قاعدة للخدمات الحضرية كالمراكز الصحية (البيرامستان) والحمامات العامة والمدارس الجامعة، ووجود بعض الصناعات بها كالزجاج والصابون والسكر والمنشآت التجارية كالقياسر والخانات والفنادق ...(ابن خلدون، ص٣٣٧).

ويؤكد "لابيدوس" ,.Lapidus, I.M على أن فهم حقائق العمران فى العصر الوسيط يجب أن يكون من خلال تحاشى أو تجنب استخدام مفهومى "الحضر والريف" كتصنيفات مطلقة كون المعيارالإدارى هو المقياس الأساسى فى تصنيف المحلات العمرانية خلال هذه المرحلة حيث تتشابه المدن لدرجة أن أى واحدة منها لا تعرف شخصية حضرية مستقلة تنفرد بها عن سواها بتعبير لوزاك.(Lozack, J., p.65)

تتصف المدنالإسلامية سواء كانت مدناً قديمة وطورت (دمنهور) أم مستحدثة باتفاقها فى المظهر العام وطريقة تخطيط وتوزيع مرافقها العمرانية (الدينية، الثقافية،التجارية، الصناعية ....) وتبرز عدة خصائص تتفق هذه المدن فيها مثل:

- اشتراك المدن فى المؤسسات الدينية والثقافية المنشأة بها من توسط المسجد الجامع وكوكبة من المدارس الدينية، بالإضافة إلى العديد من الزوايا الصغيرة تتوزع بمختلف أحياء المدينة.

- استمرارية وجود بعض الأنماط العمرانية واقتباس الحضارة الإسلامية لها وتطويرها بما يتلاءم مع العقيدة الإسلامية.

- ابتكار عديد من العمائر ذات الطابع العربى والإسلامى الصميم الذى أضفى على المحلة خصوصيتها وهويتها الإسلامية ويأتى على رأس ذلك المسجد الجامع والزوايا والأربطة والمدارس والوكالات والقلاع،(السيد عبد العزيز سالم،ص٥٤).

(أ)الوظيفة الإدارية:

كانت دمنهور خلال مرحلة الكور الصغري محلة صغيرة تابعة لكورة قرسطا وظلت كذلك حتى القرن الخامس الهجرى(١١م)،حيث مرحلة الكور الكبري فقد تم دمج كور "قرسطا ومصيل والبحيرة" في كورة واحدة عرفت باسم كورة البحيرة وقاعدتها (عاصمتها)مدينة دمنهور وانضوى تحتها٨٧قرية تشكل وحدات زمامية و٨٩ كفراً تابعاً(أبوصالح الآرمنى،ص٩٠٩) وقد كتب عنها ابن سعيد المغربي(ق٧هـ/١٤م)قائلاً" .... وفي شرق الإسكندرية وجنوبها دمنهور علي خمسين ميلا وهي قاعدة البحيرة ، ولها خليج من خليج الإسكندرية..."(كتاب الجغرافيا،ص١٤٨).

وخلال مرحلةالأعمال أصبحت دمنهور قاعدة لعمل البحيرة وفقاً للتغيير الإداري الذى أحدثه السلطان الناصر محمد بن قلاوونأثناء الروك الناصري (٧١٥هـ/١٣١٥م)، وكان يتبعها(٢٣١)ناحية عمرانية ،وفي زمن الأشرف شعبان (٧٧٧هـ/١٣٧٥م) أُجرى تعديلاً على الروك الناصرى حيث أصبح عدد النواحى التابعة لعمل البحيرة(٢٢٢) ناحية حسبما أورد ابن الجيعان،على ذلكأصبحت دمنهور محلة حضرية وقاعدة إداريةلأول مرة في القرن السابع الهجري(١٣م)ولم تتخل عن هذا الدور خلال المراحل التاريخية اللاحقة بتغيراتها الإدارية المتعددة.

ويؤكد ذلك مدى التطور الحضارى الذى أصاب هذه المحلة والتى كانت مجرد قرية صغيرة خلال الفتح الإسلامى لمصر وأصبحت عاصمة لإقليم البحيرة ومركزاً لنائب الوجه البحرى كله خلال القرن السابع الهجرى (١٣م) وتحمل الكثير من السمات والخصائص المورفولوجية لمدن هذه المرحلة .

يقدم ابن مماتى وصفاً يعكس أهمية المدينة كقاعدة إدارية كبرى داخل إقليمها حيث يذكر"...وهى مدينة قديمة عامرة وبها جامع ومدارس وحمامات وفنادق وقياسر وغير ذلك وهى قاعدة البحيرة وبها مقام نائب الوجه البحرى ويطلق عليه ملك الأمراء ولها خليج من خليج الإسكندرية وهى فى الشرق والجنوب عن الإسكندرية وبينهما مرحلة وتعرف بدمنهور المدينة ولما جرت فتنة

عربان البحيرة فى سنة بضع وثمانين وسبعمائة رسم السلطان الظاهر سيف الدين برقوق بعمارة سور عليها فعمل عليها سور من اللبن وبها مزارات.."،(قوانين الدواوين،ج٥،ص١٠١).

تبدو الدلالات الواضحة من وصف ابن مماتى لدمنهور كقاعدة إدارية كبرى كونها قصبة لإقليم البحيرة وأصبح واليها من ولاة المرتبة الأولى شأنه فى ذلك والى الأعمال الكبرى، بل تعدى الأمر ذلك كونها مقاماً ومستقراً لنائب الوجه البحرى أو ملك ملوك الأمراء كما كان يُعرف حينذاك،فهى إذن مدينة عامرة متعددة المرافق من المدارس وشُيدبها العديد من العمائر المختلفة والمتنوعة منها الدينية كالمساجد والمدارس وكذلك المنشآت التى تهدف أساساً خدمة التجار والقاصدين المدينة كالفنادق والوكالات والقياسر المتخصصة.

أُقيمت العديد من المساجد الجامعة بمصربعد الفتح الإسلاملها ومنها جامع التوبة بدمنهور وهو من أقدم المساجد المصرية والذى يتوسط المدينة ويعد أهم بناية بها، حيث لم تقتصر وظيفته على الشعائر الدينية فقط، بل اضطلع بعدة وظائف منها ما يتعلق بالجانب الثقافى ويتمثل فى حلقات الدروس والوعظ التى تلقى فى أروقته وحول أعمدته، وانتشرت حوله العديد من المؤسسات التجارية والأسواق المتنوعةويحيط بالمسجد الأسواق التجارية والقياسر المتعددة، ويدل هذا الارتباط على العلاقة الحميمة بين التجارة والدين،(سعاد ماهر،ص٣٩٦).

أما الشوارع التجارية المتخصصة والتى عُرفت فى مصادر هذه المرحلة باسم "القيسارية" والتى غالباً ما كانت ترتبط بنوع البضائع المعروض بها مثل: قيسارية "العصفر، العنبر، الحرير، والبز، والعطر" ولا تزال بعض مسميات وسط دمنهور تحمل دلالات وإشارات "لشارع القيسارية" والذى أشار إليه ابن دقماق.

بالرغم من أن السور لم يكن شائعاً بالمدن المصرية بصفة عامة والدلتا بصفة فإن العديد من المراكز العمرانية خاصةً التى وصفتها المصادر بأنها مدن "الثغور والرباطات" أحيطت بأسوار لتوفير عامل الحماية والأمن

لها، ففى إشارة ابن مماتى لسور مدينة دمنهور فقد عزاه إلى هجوم العربان عليها بين الفينة والأخرى خاصةً بعد هجومهم على المدينة فى نهاية القرن الثامن الهجرى(١٥م) وتدميرهم إياهاكان دافعاً قوياً لإنشاء سور من الطوب اللبن حول المدينة لحمايتها وتوفير الأمن لقاطنيها.

وكان السور يأخذ شكلاً منتظماً حول المحلة ويتصل به على أبعاد متفاوتة أبراج تعد بمثابة نقاط للحراسة والمراقبة، وتزداد هذه الأبراج فى مناطق الدفاع والأبواب(السيد عبد العزيز سالم،ص٦١).

(ب) الوظيفة الصناعية والتجارية:

كان لمدينة دمنهور شهرة في مجال صناعة النسيج حتي نسبت إليها الثياب الدمنهورية كما وصفها ياقوت الحموي بقولة "... دمنهور الوحش وتنسب إليها الثياب الدمنهورية...."وأشار أبو الفدا(تقويم البلدان،ص١٥٦)أيضاً لهذه الوظيفة ولم تقتصر هذهالصناعة علي دمنهور فقط بل شكلت حلقة فى سلسلة متعددة من المدن المحيطة بدمنهورمثل: بلقطر[١٠]وفوه(عمل فوة والمزاحمتين)،وأبيار[١١]،والنحريرية(النحارية/كفر الزيات) وقد أتاح انهيار دور تنيس[١٢]في مجال صناعة النسيج واندثارها كليةً المجال لدمنهور كي تبرز في صناعة النسيج.

تعددت الأنوال والمناسج والتى توزعت بنواحى المدينة المختلفة وتركز عديد منها بقيساريات "البز والحرير" وغيرها والتى كانت تعد السوق الرئيسى لعرض هذه المنسوجات القطنية والحريرية.

يعد النطرون المستخرج من وادي هيبت (وادي النطرون) إحدي أهم السلع التجارية بغربي الدلتا وكان ينقل من وادي النطرون الي الطرانة(مدينة السادات/المنوفية) حيث يتم تشوينه ومنها الي الإسكندرية وبقية الحواضر الأخربوكان النطرون يستخدم فى عملية تبيض الثياب ومن ثم ارتبط بصناعة المنسوجات فى دمنهورومن ثم أصبح له أهمية كبرى بالنسبة لدمنهور.

تعددت المؤسسات التجارية بمدينة دمنهور من أسواق وقياسر وفنادق علي نحو ما أوضح ابن دقماق مما يعد انعكاسا للأنشطة التجارية بها، وإنها كانت مركزاً للتجار سواء القاصدين غربي الدلتا أو الإسكندرية من

خلال موقعها علي خليجالإسكندرية،ويشير العبدرى إلى أنها أعظم المدن وأشهرها علي الطريق ما بين مصر والإسكندرية مؤكداً على دور موقعها فى ازدهارها التجارى.

(٣)اضمحلال المدينة:

تأثرت مدينة دمنهور بالعديد من العوامل التى أسهمت فى تراجع دورها الحضرى والحضارى، منها على سبيل المثال زلزال سنة (٧٠٢هـ/١٣٠٢م)والذى كان تأثيره قوياً عليها حيث لم يبق فيها بيت عامر (السلوك،ج١،ص٩٤٤)،كما انتشر بها طاعون سنة (٧٤٩هـ/١٣٤٨م)والذى عُرف باسم الموت الأسود، حيث "..الفناء العظيم،والطاعون العميم،الذى جاب البلاد والأمصار ولم يسمع بمثله فى سالف الأعصار،طالت شقة مدته،وحمى وطيسه...."بتعبير ابن حبيب(تذكرة النبيه..جـ٣ ،ص١١٠).

وسجل المقريزى آثاره على مدينة دمنهور وإقليمها".. وفشي الموت بدمنهور وتروجه والبحيرة كلها حتى عم أهلها، وماتت دوابهم فبطل من الوجه البحري سائر الضمانات والموجبات السلطانية .."(السلوك، جـ٢، ص ٧٧٨)، شمل الوباء كل نواحي العمل بما فيها قاعدته وحاضرته (دمنهور) وسائر نواحيه مما أبطل معه كافة الموجبات(الالتزامات) من ضرائب وخلافه.

يضاف إلى ذلكالغارات المتكررة لعربان البحيرة على المدينة وقد انعكست آثارها علي مدينة دمنهور من خلال هجومهم المتكرر فتركزهم علي هامش الدلتا الصحراوي سهل لهم القيام بعمليات السلب والنهب والتدمير ثم الارتداد سريعا جهةالغرب داخل الصحراء قبل أن تدركهم التجريدات العسكرية التى تطاردهم.

أدت هذه العوامل مجتمعة فى القضاء على كثير من مظاهر العمران فى مدينة دمنهور وإزالة التخطيط القديم وطمس معالمه مما يجعل من

الصعوبة بمكان إعادة تصور شامل لمورفولوجية دمنهور قاعدة عمل البحيرة.

ـ خاتمة:

تمثل خريطة المحلات العمرانية المرتبطة بالمجارى المائية غربى فرع رشيد اختزالاً لعوامل متعددة منها التاريخى والجغرافى والإدارى ويأتى قبل ذلك وبعده شبكة المجارى المائية والتى شكل عمادها خليج الإسكندرية وأفرعه المتعددة،بالإضافة للخلجان الأخرى والتى تحكمت فى نشأة العمران ونموه ومن ثم انتشاره وتوزيعه بإقليم الدراسة، فهذه المجارى المائية شكلت عاملاً حيوياً فى خلق وتنميط العمران المرتبط بها طوال عصوره التاريخية.

يعكس توزيع هذه المحلات ارتباطاً تاريخياً وثيقاً بهذه المجارى والتى استفادت منها كونها كانت مصدراً للمياه العذبة وموردا لرى الأراضى الزراعية بإقليم تشكل الزراعة عماد اقتصاده بالإضافة لدورها كشرايين نقل وموصلات داخل الإقليم وخارجه.

ارتبطت العديد من المحلات العمرانية خلال مرحلة الدراسة بالمجارى المائية السابق الإشارة إليها والتزمتمواضعها بهذه المجارى مكانياً وارتبطت بها زمنياً،وبدا ذلك واضحاً فى توزيعهذه المحلاتمدى دور شبكة المجارى المائية هذه فى نشأةونمو هذه المحلات وتطورهاويقدم شكل(١٤) والذى يوضح المجارى المائية الحالية والمحلات العمرانية المرتبطة بها تأكيداً على تواصل معطيات المواضع الجغرافية والاستمرارية التاريخية فكأنما هى الخريطة ذاتها لمرحلة الدراسة.

استفادت قاعدة العمل وعاصمة الإقليم (دمنهور) من موضعها المائى على خليج الإسكندرية وتحولت من مجرد قرية صغيرة فى مرحلة الكور الصغرى إلى قصبة العمل وقاعدته وشكل المسجد الجامع وملحقاته ودورها الإدارى كمركز للوالى وإداراته حجر الزاوية فى مورفولوجية المدينة خلال هذه المرحلة واحتوت المدينة على العديد من المرافق الحضرية المهمة كالوكالات والفنادق والقياسر والمدارس الجامعة والتى تعكس أهميتها الحضرية خلال هذه المرحلة،وإن كانت تمثل الحضرية التى خلال العصر الوسيط،والتى يرى بعض الباحثين أن كل مدن هذه المرحلة تتشابه لدرجة أن أى واحدة منها لا

تعرف شخصية حضرية مستقلة تنفرد بها عن سواها ،بتعبير (لوزاك ,Lozack).

شكل (١٧) المجارى المائية الحالية والعمران غربي الدلتا

المصدر: خريطة الترع والمصارف الرئيسية بغرب الدلتا، وزارة الموارد المائية والري، ٢٠١١م.

(١) تم إجراء هذا الروك فى ولاية الملك الناصر محمد بن قلاوون الثالثة على مصر، وترجع أصول مصطلح "الروك" إلى المصرية القديمة، حيث اللفظ "روخ" ثم انتقل إلى القبطية مع التحريف إلى "روش ثم إلى "الروك" فى العربية، وهو معنى واحد يقصد به "قياس الأرض الزراعية بواسطة حبل" ، ويقابل الروك ما يعرف حديثاً باسم "عملية فك الزمام". (جمال الشيال، ١٩٤٠، ص٢٣)

(٢) القرى المعتبرة:تمثل الوحدات الزمامية والتى تتكون من قرية كبرى وهى"المعتبرة وحدة زمامية وخراجية مستقلة"وتتبعها عدة قرى صغرى كالكفور والنزلات والنجوع.....(الأرمنى ..،ص ص٨-١٠).

(٣)سُجلت نتائج فك هذا الزمام على قوائم مربعة الشكل وكُتب فى كل مربع مساحة زمام كل قرية وتوابعها وعبرتها، ولذلك أُطلق عليه اسم "الترابيع" (محمد رمزى ، قسم ١ ، ص ٢٣) .

(٤)القاضى السعيد أبوالحسن على بن القاضى المؤتمن (٥٨٠هـ/١١٨٤م) وقد عاصر المخزومى فى نهايات الدولة الفاطمية وبداية الدولة الأيوبية وكان خبيراً فى الشئون الإدارية والمالية (عبد العال الشامى ص ٢٨٤).

(٥) ابن مماتى،قوانين الدواوين،تحقيق عزيز سوريال عطية،مكتبة مدبولى،القاهرة،الطبعة الأولى،١٩٩١م،وقدشغل ابن مماتى العديد من المناصب الإدارية العليا خلال عصر الدولة الأيوبية.

(٦) العبرة:مصطلح مالى عُرف خلال العصر الوسيط ويعنى الضريبة المفروضة على الأراضى الزراعية،أما الخراج فهى الضريبة بمعناها العام أو جملة موارد بيت المال (محمد أمين صالح،ص٣٠).

(٧) تم الاعتماد على كتب :الخراج....للمخزومى وقوانين الدواوين لابن مماتى والتحفة السنية... لابنالجيعان فى تصنيف المحلات العمرانيةالواردة وتحديد مواضعها، وكذلك مساحة حيازة كل ناحية معتبرة،ومن خلال كل ذلك تم رسم الخرائط المتعلقة بهذه النقطة.

(٨) تمثل مدينة دمنهور قاعدة(عاصمة) عمل البحيرة وقصبته الأولى وارتبط نشأتها ونموها بخليج الإسكندرية، لذلك فهى النموذج الممثل للدراسة الحضرية .

(٩)ابن دقماق،ج٥،ص١٠١، القلقشندى،صبح الأعشى،ج٤،ص٤٠٢،ابن الجيعان،ص١١٦.

(١٠) بلقطر: كانت بليدة بعمل البحيرة وتشتهر بصناعة طرز معينة من الصوف وهى العبى التى لا يعمل مثلها فى الدنيا ، وتقع حالياً بمركز أبوحمص،(محمد رمزى، جـ٢، ص٢٤٠).

(١١) أبيار: قاعدة عمل أبيار وجزيرة بنى نصر وتقع حالياً فى مركز كفر الزيات (غربية) ، (محمد رمزى، قسم٢ ، جـ٢ ، ص١١٩).

(١٢) تنيس: محلة عمرانية قديمة مقامة على جزيرة تنيس واشتهرت بصناعة الثياب الملونة والفرش المميزة وبلغت أوج ازدهارها فى القرن الثالث الهجرى(١٠م) ثم انزوت بعد ذلك وتعرضت للاندثار، (محمد رمزى، قسم١،ص ص١٩٧-١٩٨).

-المصادر والمراجع:

(١) المصادر:

-الإدريسى(محمد بن محمد ت ٥٤٨هـ/١١٥٣م):
نزهة المشتاق فى اختراق الآفاق،ليدن،١٩٦٨م.
- ابن أيبك الداوادرى (أبو بكر بن عبد الله ت ٧٣٣ هـ / ١٣٣١م):
الدر الفاخر فى سيرة الملك الناصر، تحقيق روبرت رويمر، القاهرة، ١٩٦٠م.
- ابن جبير (ابو الحسن محمد بن أحمد ت ٦١٤ هـ/١٢١٧ م):
الرحلة، دار صادر، بيروت، ١٩٨٠م.
- ابن الجيعان (شرف الدين يحى بن المقر ت ٨٨٥ هـ/١٤٨٩ م):
التحفة السنية بأسماء البلاد المصرية، القاهرة، ١٨٩٨ م.
- ابن حبيب(الحسن بن عمر بن الحسن بن حبيب ت ٧٧٩هـ/١٣٩٧م):
تذكرة النبيه فى أيام المنصور وبنيه،تحقيق محمد محمد أمين،مراجعة سعيد عبد الفتاح عاشور،الهيئة المصرية العامة للكتاب،القاهرة،١٩٧٦م.
- ابن حوقل (أبو القاسم محمد بن حوقل ت ٣٦٧هـ/٩٧٧م):
صورة الأرض، ليدن، ١٩٣٨م.
- ابن خلدون (أبوزيد عبد الرحمن بن محمد ت٨٠٨هـ/١٤٠٥ م):
كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر، دار الكتاب اللبنانى، بيروت، ١٩٦٧.
- ابن خرداذبة(أبو القاسم عبيد الله بن عبد الله ت٣٠٠هـ/٩١٢م):
المسالك والممالك،مكتبة المثنى، بغداد،١٨٨٩م.
- ابن دقماق (إبراهيم بن محمد المصرى ت ٨٠٩هـ/١٤٠٦ م):
الانتصار لواسطة عقد الأمصار، القاهرة، ١٨٩٣ م.
-ابن سعيد المغربى(على بن موسى بن عبد الملك ت ٦٨٥هـ/١٢٨٦م):
كتاب الجغرافيا،تحقيق إسماعيل العربى،بيروت،١٩٧٠م.
- ابن مماتى(أبو المكارم أسعد بن الخطير بن زكريا المصرى ت ٦٠٦هـ/١٢٠٨م):
قوانين الدواوين، تحقيق عزيز سوريال، القاهرة،١٩٤٣م.
- أبو الفدا(عماد الدين إسماعيل بن عمر ت ٧٣٢هـ/١٣٣١م):
تقويم البلدان،باريس،١٨٤٠م.
- أبو صالح الأرمنى (أبو المكارم جرجس بن مسعود ت ٥٦٩هـ/١١٧٣م):

تاريخ الشيخ، المطبعة المدرسية، أكسفورد، ١٨٩٥م.
- الإسحاقى المنوفى(محمد بن عبد المعطى ت١١هـ/ ١٧م):
أخبار الإول فيمن تصرف فى مصر من أرباب الدول، دار الكتبالمصرية، القاهرة، ١٨٨٥م.
- الإصطخرى (أبوإسحاقإبراهيم بن محمد الفارسى ت ٣٥٠هـ/٩٦١م):
مسالك الممالك، تحقيق محمد جابر الحينى، مراجعة محمد شفيقغربال،القاهرة، ١٩٦١م.
- الشجاعى (شمس الدين ت ٧٤٥هـ/ ١٣٤٤م):
تاريخ الملك الناصر محمد بن قلاوون الصالحى وأولاده، تحقيق باربارهشيفر،القسم الأول،القاهرة، ١٩٧٨م.
- القلقشندى (شهاب الدين أبو العباس ت٨٢١ هـ/ ١٤١٨م):
قلائد الجمان فى التعريف بقبائل عرب الزمان، تحقيق إبراهيمالإبيارى، القاهرة، ١٩٦٣.
- ـــــــــ:صبح الأعشى فى صناعة الإنشا، وزارة الثقافة والإرشادالقومى، القاهرة (د.ت).
- المخزومى(القاضى السعيد أبو الحسن المؤتمن أبى عمرو المخزومى ت ٥٨٠هـ/١١٨٤م):
المنهاج فى علم الخراج،المجموعة الكمالية،مجلد ١٩٣٤م.

- المقريزى : (تقى الدين احمد على ت ٨٤٥هـ/١٤٤١م):
المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار، القاهرة، (د.ت).
- ـــــــــ: السلوك لمعرفة دول الملوك، تحقيق محمد مصطفى زيادة،القاهرة، ١٩٥٨م.
- النابلسى الصفدى (أبو عثمان النابلسى الصفدى ت٦٥٠هـ/ ١٢٥٢م):
لمع القوانين المضيئة فى دواوين الديار المصرية، نشر كلود كاهن، ١٩٥٨/١٩٦٠م.
- اليعقوبى(أحمد بن يعقوب بن جعفر ت ٢٨٢هـ/٨٩٥م):
البلدان، مكتبة المثنى، بغداد، ١٨٩١م.
-ياقوت الحموى(شهاب الدين أبى عبد الله الرومى ت ٦٢٦هـ/١٢٢٨م):

معجم البلدان،بيروت،١٩٩٦م.

(٢)المراجع العربية:

- السيد عبد العزيز سالم ، التخطيط ومظاهر العمران فى العصور الإسلاميةوالوسطى، مجلة المجلة ، العدد ٩، القاهرة ، ١٩٥٧.
-الهيئة المصرية العامة للمساحة،الأطلس الطبوغرافى،مقياس ١:٢٥٠٠٠،لوحة رقم ٥٥٥/١٢،سنة ١٩٣٤م.
- ـــــ، المشروع القومى لحصر الأراضى الزراعية، المرحلة التفصيلية، القاهرة، ١٩٩٠.
- جمال الدين الشيال، طريقة مسح الأرض وتقرير الخراج فى مصر الإسلامية، مجلة الثقافة، العدد ٩٧، نوفمبر، ١٩٤٠.
- جودة حسنين جودة، جغرافية مصر الطبيعية وخريطة المعمور المصرى فى المستقبل، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية،٢٠٠٠م.
- حنان إسماعيل محمد،الجغرافيا التاريخية لغرب الدلتا فى العصر الوسيط،رسالة ماجستير،كلية الآداب،جامعة القاهرة،٢٠٠٥.
- طه الولى، المدينة فى الإسلام، القاهرة، (د.ت).
- سعاد ماهر، مساجد مصر وأولياؤها الصالحون، ج ٢، القاهرة، ١٩٧٢.
- عبد العال عبد المنعم الشامى،مدن الدلتا فى العصر العربى،رسالة دكتوراه،كلية الآداب،جامعة القاهرة،١٩٧٧.
- ـــــ، مدن مصر وقراها عند ياقوت الحموى، جامعة الكويت، ١٩٨١.
- ـــــ،نظام الرى والزراعة فى مصر فى الكتابات العربية، الندوة العالمية الثالثة، لتاريخ العلوم عند العرب، طبعة القاهرة، ١٩٩١.
- عمر طوسون، تاريخ خليج الإسكندرية وترعة المحمودية، الإسكندرية، ١٩٤٢.
- كراتشكوفسكى،تاريخ الأدب الجغرافى،ترجمة صلاح الدين عثمان هاشم،لجنة التأليف والترجمة والنشر،القاهرة،١٩٥٧.
- محمد أمين صالح،النظام المالى والاقتصادى فى الإسلام،القاهرة،١٩٨٤.
- محمد رمزى، القاموس الجغرافى للبلاد المصرية، جـ١ : جـ٤، دار الكتب المصرية، القاهرة ١٩٥٤-١٩٦٣.

- مصلحة المساحة المصرية، فهرس مواقع الأمكنة الواردة بمجموعة الخرائط الطبوغرافية مقياس ١ : ١٠٠,٠٠٠ ، القاهرة ، ١٩٣٢ .
- ـــــ، خرائط فك الزمام لقريتى زاوية غزال وكنيسة أورين، مقياس١ :٢٥٠٠، ١٩٣٦.
- محمد عوض محمد، نهر النيل، القاهرة، ١٩٥٢.
- وزارة الموارد المائية والري خريطة الترع والمصارف الرئيسية بغرب الدلتا،٢٠١١م.
- وهيب كامل،استرابون فى مصر، القاهرة، ١٩٥٣.
- يوسف كمال،المجموعة الكمالية فى جغرافية مصر والقارة الإفريقيةمجلد سنة ١٩٣٤.

(٣)المراجع غير العربية:

-Boak, A.E., Irrigation and population in Fayum, The Garden of Egypt,GeographicalReview.,Vol.16,No.,3
- Lapidus, I.M., Muslim cities and Islamic societies, in "Middle eastern cities ","by" Lapidus, I.M., University of California Press, 1969.
-Lapidus, M., Muslim Cities in the Later Middle Ages, Cambridge University Press.1984.
-Lozach, J., Le Deleta du Nile, Bulletin de la Societe de.Geographie d' Egypte., To 16, 1935.
- Tousson, O., La Geographie de l` Egypte a l`époque Arabe, Cairo, 1926.